تحدّيات التفاهم المتبادل. طلّاب مسلمون ومسيحيّون وجهًا لوجه

سلسلة «التفاعل الإسلاميّ المسيحيّ»، رقم ١

دار المشرق، بيروت، ٢٠٠٢، ١١٨ صفحة

يمثّل هذا الكتاب ثمرة حلقة دراسيّة أقامها معهد الدراسات الإسلاميّة المسيحيّة في جامعة القدّيس يوسف، وأدارتها الآنسة جُولِيت حدّاد. جمعت الحلقة عددًا من الطلّاب المسلمين والمسيحيّين، ودامت سنتين ونيّف (تشرين الثاني ١٩٩٥ - حزيران ١٩٩٧)، وتميّزت بجدّيّة المشتركين فيها وبمثابرتهم وصراحتهم المسؤولة.

أمّا هدف هذا النشاط الأكاديميّ، فكان التعارف الحقيقيّ والتفاهم المتبادل، لا من طريق التحاور في العقائد الإيمانيّة النظريّة وحسب، بل من خلال إثارة المشاكل الحياتيّة المتّصلة بالتعايش الإسلاميّ المسيحيّ، كما اختبرها المشتركون. ولا ريب أنّ في ذلك تكمُن جدّةُ هذا النشاط الأكاديميّ وأهمّيّته. فقد ساهم الأسلوب المتّبع، من جهة، في إبراز شخصيّة كلّ من المشتركين، في ضوء ما تشرّبته من التعليم الدينيّ واستوعبته، الأمر الذي ساعد كلّ واحد على التعمّق في اكتشاف إيمانه الشخصيّ وتفهّم قناعاته التي تتحكّم بتصرّفاته. ومن جهة ثانية، تَرتّب على الجميع التمرُّس بالإصغاء المتبادل وقبول الآخر بصفته مختلفًا، لا على مستوى القناعة الإيمانيّة وحسب، بل في واقع العلاقة المعاشة أيضًا.

لا شكّ في أنّ هذا الكتاب يساهم في إرساء القواعد السليمة والمتينة لكلّ حوار بنّاء، وكلّ تعايش فعليّ. ففي كلتا الحالتين، يجد المرء نفسه مدعوًّا إلى الذهاب نحو الآخر، بقصد الانضمام إليه. على أنّ هذه «عملية ليست طبيعيّة، وتتطلّب تبدّلًا جوهريًّا... هو تبدّل يتأسّس على إيقاف مسار الأمور الطبيعيّة لكي يُمكن الالتفات إلى الآخر» (ص ٩٩).

أ. ص. أبو جوده

العيش المشترك الإسلاميّ المسيحيّ
في ظلّ الدولة الإسلاميّة
- شهادة من التاريخ -

تأليف الدكتور محمّد منير سعد الدين

منشورات المكتبة البولسيّة، جونيه (لبنان)، ٢٠٠١، ١٨٤ صفحة

إنّه الكتاب الخامس عشر من كُتُب سلسلة «المسيحيّة والإسلام في الحوار والتعاون» التي يصدرها، بإشراف البروفسور عادل تيودور خوري، «مركز الأبحاث في الحوار المسيحيّ الإسلاميّ» التابع للجمعيّة البولسيّة. والمؤلّف، الدكتور منير سعد الدين،

صاحب خبرة طويلة في مجال الحوار هذا، وله في الموضوع كتب ومقالات. فمن هذه الأبحاث التي ظهرت في المشرق فقط: «وقفة مع تجربة في الحوار الإسلاميّ المسيحيّ» (٧٤ - ٢٠٠٠ -: ص ٥٠٩-٥١٧)؛ «الحوار الإسلاميّ المسيحيّ. المنهج من خلال القرآن الكريم والسنّة النبويّة الشريفة» (٧٦ - ٢٠٠٢ -: ص ٦٩-٩٣)؛ «التربية على العيش المشترك الإسلاميّ - المسيحيّ» (٧٦ - ٢٠٠٢ -: ص ٣٦٩ - ٣٩٠). والكتاب الموصوف هنا يشمل سائر الأفكار المطروحة في المقالات السابقة، ويضيف إليها معطيات جديدة لا سيّما ممّا تَوفّر من شهادات تاريخيّة كثيرة. وهذه الشهادات الإيجابيّة مهمّة، لا بدّ من أخذها في عين الاعتبار لما للإيجابيّات من تأثير حسن وفاعل في دفع مسيرة التعارف والتوادّ بين الناس. ونذكر منها، لأخذ العِلم، بعض ما ورد في عناوين الفصل الأوّل من الكتاب: «وقفة مع العيش المشترك الإسلاميّ المسيحيّ من خلال كتاب الدبارات للشابشتي»؛ «الرسول (...) وأهل نجران»؛ «عهد الخليفة عمر بن الخطّاب لأهل إيليا (القدس)»؛ «زيارة الخلفاء والمسؤولين المسلمين للأديرة وتبادل الودّ والمحبّة»؛ «مشاركة المسلمين للمسيحيّين في أفراحهم وأحزانهم»، إلخ...

بمثل كتاب الدكتور سعد الدين وما يكتنزه من روح صافية وصدق وموضوعيّة تتقارب القلوب والعقول، ويبنى ملكوت المحبّة والسلام.

أ. ك. حشيمه

ثورة التنزيه

«رسالة التنزيه» تليها مواقف منها وآراء في السيّد محسن الأمين

إعداد محمّد القاسم الحسينيّ النجفيّ

دار الجديد، بيروت، ١٩٩٦، ١٢٤ ص

أراد مُعدّ هذا الكتاب أن يلقي الضوء على العالم الشيعيّ الكبير السيّد محسن الأمين (١٨٦٥-١٩٥٢)، صاحب حركة إصلاحيّة عند المسلمين الشيعة، «تُعدُّ، بحقّ، في صدر حركات الإصلاح الكبرى في كلّ زمان ومكان» (ص ٩). فتبعًا لما ورد في المقدّمة، ثمّة حركات إصلاحيّة ثلاث عند الشيعة، أوّلها حركة ابن إدريس الحلي، وترتقي إلى القرون الماضية، وحركتان في هذا القرن: حركة «السيّد هبة الدين الشهرستانيّ التي كان موضوعها نقل الجنائز في العراق... وحركة السيّد محسن الأمين» (ص ٩).

وبعدَ أن يستعرض مُقدّمُ «رسالة التنزيه» الحركتَين السابقتَين، مبيّنًا فضل ابن إدريس في إعادة إطلاق الاجتهاد، ودور الشهرستانيّ في الدعوة إلى الإقلاع عن تقليد نقل الجنائز لما فيه من مفاسد (ص ١٠-١٢)، يتكلّم على حركة السيّد محسن الأمين، فيصفها بـ«الحركة الإصلاحيّة العالميّة الكبرى»، ويقول: «إذا كان الخطر الأبرز لدعوة السيّد محسن الأمين الإصلاحيّة هو إصلاح طقوس المجالس الحسينيّة التي تُقام في الأيّام العشرة الأولى من المحرّم وتُختم في اليوم العاشر بختامها الدامي، إذا كان الأمر كذلك فإنّ الدعوة المحسنيّة

الإصلاحيّة كانت تستهدف ما هو أبعد من المجالس الحسينيّة، كانت تبدأ من القاعدة مجتازة كلّ شيء وصولًا إلى المجالس الحسينيّة» (ص ١٢). غير أنّ ذلك لم يكن بالأمر اليسير، فالسيّد محسن الأمين كان يعلم أنّ ما ينادي به سيثير عليه «من غضب عارم تشعل ناره العمائم وتذكيه العامّة. ولكنّه صمّم على إعلان الثورة الإصلاحيّة تصميمًا لا رجوع عنه» (ص ١٥).

أمّا «رسالة التنزيه»، فتقع في ثلاث وعشرين صفحة (ص ٢١-٤٣)، ويبدأها مؤلّفها بانتقاد «إقامة شعائر الحزن على سيّد الشهداء أبي عبدالله الحسين بن عليّ عليهما السلام التي استمرّت عليها طريقة الشيعة من عصر الحسين إلى اليوم» (ص ٢١). ثمّ يعدّد المنكرات التي ترافق تلك الشعائر، فيدحضها مبيّنًا خطأ المدافعين عنها والمروّجين لها.

وفي القسم الثالث من الكتاب جُمعت مواقف من «رسالة التنزيه»، أبرزت مدى انتشارها والتجاوب معها في أنحاء العالم الإسلاميّ، وما لاقته من رفض ومقاومة. وما زالت الردود المتفاوتة في شأنها تتوالى إلى عصرنا الحديث. ثمّ تأتي مجموعة آراء في السيّد محسن الأمين بقلم صحافيّين وأكاديميّين وأصحاب فضيلة، أشادوا جميعًا بجرأة صاحب «رسالة التنزيه» ودوره الرائد في إطلاق نهضة إصلاحيّة هدفت إلى تخليص الشعائر من الشوائب والأباطيل.

أ. ص. أبو جوده

المسيحيّة عبر تاريخها في المشرق

تحرير القسّ الدكتور حبيب بدر، الدكتورة سعاد سليم، الدكتور جوزيف أبو نهرا

منشورات مجلس كنائس الشرق الأوسط، بيروت، ٢٠٠١، ٩٢٠ صفحة

كتاب كبير بحجمه، كبير بالأسماء التي عملت فيه. كتاب غنيّ بموضوعاته وبالمعلومات التي يقدّمها إلى قرّائه. كتاب واسع على مستوى الزمان والمكان. على مستوى الزمان انطلق من بداية المسيحيّة ليصل بنا إلى القرن الحادي والعشرين ويتطلّع إلى أبعد من ذلك. وعلى مستوى المكان، ضمّ في دفّتيه الانتشار المسيحيّ من إيران إلى تركيا والسودان، كما ضمّ لبنان وسوريا وفلسطين والأردنّ ومصر والجزيرة العربيّة. كتاب شامل على مستوى التاريخ كما على مستوى المسيحيّة. إنطلق بنا من رومة وبيزنطية فوصل إلى العثمانيّين والعصور الحديثة وما نسي الصليبيّين الذين مرّوا في الشرق وتركوا وراءهم ما تركوا من أثر. وتحدّث عن جميع الطوائف التي تتوزّع في بلدان الشرق الأوسط، وما نسي الكلام على غنى تمتّعت به، فحملته إلى الآخرين على المستوى الدينيّ والحضاريّ. ذاك هو كتاب المسيحيّة عبر تاريخها في الشرق، الذي شاوك فيه علماء من الشرق والغرب، وأصدره مجلس كنائس الشرق الأوسط، فقدّم صرحًا مهمًّا في الأدب العربيّ المسيحيّ على مستوى التاريخ كما على مستوى الفكر واللغة.

وها نحن نتوقّف على الغنى الذي يزخر به هذا الكتاب، مشدّدين على بعض الوجهات التي يمكن أن نكتشفها.

١ - المسيحيّة

قدّم إلينا الكتاب تاريخ المسيحيّة منذ عهد المسيح والرسل إلى أيّامنا. بدأ بالقرن الميلاديّ الأوّل مع الحضارات التي انبثق فيها الإنجيل: اليونانيّة التي كُتب بها العهد الجديد، والرومانيّة التي كانت الإطار السياسيّ الذي فيه امتدّت البشارة فوصلت سريعًا إلى أوروبّا عابرةً البحر مع بولس والفريق الرسوليّ، والقبطيّة التي ارتبطت بالإنجيل بواسطة مرقس البشير، واليهوديّة التي قدّمت الإطار الأدبيّ لتدوين أسفار العهد الجديد، مثل سفر الأعمال الذي أخذ بطريقة أسفار صموئيل والملوك، أو سفر الرؤيا الذي سار في خطّ الأدب الجليانيّ البارز بشكل خاصّ في سفر دانيال. وامتدّت المسيحيّة إلى الشرق فوصلت إلى الهند. أرسل المسيح الرسل من أورشليم واليهوديّة، فإذا هم يصلون إلى أقاصي الأرض المعروفة آنذاك. وتواصلت لوحة المسيحيّة في القرنين الثاني والثالث، ساعة تثبّتت الأسفار المقدّسة في لائحةٍ قانونيّة تُعتبر أساس الإيمان والأخلاق. وظهرت المدارس في الإسكندريّة وإنطاكية، كما في الرها ونصّيبين وسائر العالم السريانيّ. كما ظهرت التعاليم المتعدّدة فاقتضى الوضع أن تُطلَق الدعوة إلى مجامع مسكونيّة في نيقية وأفسس وخلقيدونية والقسطنطينيّة.

ولكنّ المسيحيّة لا تعيش خارج العالم وحسب، بل في قلب العالم. فبعد علاقتها بالإمبراطوريّة الرومانيّة وما قدّمت إليها من تسهيلات بعد أن وحّدت العالم حول البحر المتوسّط، كما قدّمت إليها الاضطهادات، كانت علاقة من نوع آخر ببيزنطية التي حاولت أن تدجّن الكنيسة من أجل مصالحها السياسيّة ووحدة البلدان المتعدّدة حول شخص الإمبراطور. وبعد القرن السابع وسيطرة الإسلام في الشرق، كيف كان التعامل بين ديانتين تقرّان بالإله الواحد؟ هنا تداخَل الدين والسياسة، فأراد الحاكم المسلم أن يوحّد الشعب انطلاقًا من الدين، كما سبق أنّ علّمه إمبراطور بيزنطية. لهذا كانت الاضطهادات والتحزين والاستبعاد والتمييز بين الناس... وفي النهاية، عادت الكنيسة إلى ما كانت عليه في أيّام الفرس، منذ القرن الخامس ق.م.، إذ الرئيس الدينيّ لطائفة من الطوائف هو محاور الدولة الحاكمة أيًّا تكن تلك الدولة التي تطلب إلى الناس الخضوع لها وإرسال الجزية في الوقت المحدّد. وهكذا نصل إلى الكلام على الطوائف المسيحيّة التي تعيش في الشرق.

٢ - الطوائف المسيحيّة

جاء هذا الكتاب الكبير يقدّم لوحات متنوّعة عن كلّ طائفة من الطوائف. فكتب السريان عن طائفتهم والأشوريّون كذلك، والموارنة والأقباط والأرمن والبيزنطيّون، وصولًا إلى مسيحيّي الحبشة. كلّ واحد قدّم نظرته إلى كنيسته منطلقًا من تأصّلها في المحيط الذي تعيش فيه. هنا نلاحظ تشتّت الكنائس وابتعادها بعضها عن بعض. كما نلاحظ بشكل إجماعيّ بعض الغموض في أصول هذه الطوائف، حيث تقدّم كلّ طائفة دفاعًا عن نفسها. في هذا الباب تسيطر العاطفة التي تنفينا عن البحث العلميّ البعيد عن الفرديّة الطائفيّة. فلماذا نخاف القول إنّ ما قسّم الكنيسة هو تدخّل السياسة في الدين، وسيطرة الروح الوطنيّة على الإيمان، وسعي الحكّام للتسلّط، وقد جارتهم الكنيسة فتسلّطت معهم على المؤمنين.

وفي النهاية، صُوّرت الطائفة «دولة» ضمن الدولة تريد أن تدافع عن تباعها، ولا تسعى إلى حمل رسالة تخرجها من ذاتها فتطلقها إلى الآخرين، سواء أمسيحيّين كانوا أم لا، من أجل حوار يُخرج المسيحيّين من خصوصيّتهم ويرسلهم إلى العالم حيث أرسلهم يسوع حين قال: «لا أطلب أن تُخرجهم من العالم، بل أن تحفظهم من الشرّير» (إنجيل يوحنّا ١٧: ١٥).

هذا يعني أنّنا لا نكتفي بالعموميّات، بل نعود إلى المصادر القديمة، حيثما وُجدت، وفي أيّة لغة دُوّنت، لنصل إلى الحقيقة، لأنّ التاريخ هو معلّم الحقيقة: ننطلق منه انطلاقةً صادقة، لا متحيّزة، لنبني ذواتنا والمجتمع الذي نعيش فيه. هذا ما قاله أحد الكتّاب هنا، فأشار إلى الترداد المملّ الذي قلّما يستند إلى مراجع يستطيع القارئ أن يتحقّق منها. في هذا المجال، نرى الحاجة إلى اختصاصيّين يتعمّقون في التاريخ وفي علم الآباء وفي الحضارات القديمة، بحيث لا ننتظر من الآخرين أن يدرسوا عنّا، فنأكل بعض فتاتهم أو نرفضه رفضًا قاطعًا.

هنا نشير إلى مدى التفاعل في هذا الشرق أو عدم التفاعل، وهذا منذ العصور السابقة للمسيحيّة. فإذا تَذكّرنا أنّ اللغة الآراميّة سيطرت من الهند إلى جنوب مصر، في أيّام الفرس، وأنّ اللغة اليونانيّة التي جاءت بعدها، فحلّت بشكل خاصّ في المدن، بعد أن فصلت أجزاء الآراميّة إلى سريانيّة الرها وآراميّة الحضر وتدمر وفلسطين، نفهم لماذا وُجد البيزنطيّون في المدن، والسريان والأقباط في الأرياف بشكلٍ عامّ. في هذا الإطار، نفهم أيضًا سوء التفاهم بين البيزنطيّين من جهة، والسريان والأقباط من جهة ثانية. ولا نستخفّ بمسألة اللغة. فمنذ بداية الكنيسة، كان صراع بين العنصر العبرانيّ والعنصر الهلّينيّ انتهى بتنظيم خِدَم جديدة في الكنيسة مع إسطفانس وفيلبّس وغيرهما (أعمال ٦: ١-٦).

ونطرح السؤال: أيّ تفاعل بين المسيحيّة والإسلام منذ ثلاثة عشر قرنًا وتيّف؟ وأيّ تفاعل بين الشرق والصليبيّين الذين جاؤوا إلى الشرق من أجل أكثر من سبب، فلم يكونوا جنودًا وحسب؟ عرفوا هم أن يأخذوا الكثير من الشرق، واختلفت علاقة الشرقيّين بهم بحسب المصالح السياسيّة أو العسكريّة وغيرها. ما لفت نظري في هذا الكتاب، وأبان في الحروب الصليبيّة: واحد من الشرق وواحد من الغرب. ولكن ما نكتشفه هنا كما في موضوع الإرساليّات، هو أنّ ما جاء من عالم الغرب ظلّ غريبًا عليه، فرفضناه رفضًا قاطعًا كجسم غريب، أو أخذناه كأنّه الحقّ الذي لا يُجادل، فخسرنا بسببه الكثير من شخصيّتنا.

إنّ تفاعل قوّتين أو حضارتين يخلق عادة نهضة مهمّة. هذا ما حصل لإمبراطوريّة رومة حين التقت عالم اليونان كما التقت عالم الشرق بدياناته البرّانيّة (الباطنيّة). وهذا ما حصل لحاملي الكتاب المقدّس حين تفاعلوا مع الفكر اليونانيّ كما وصل إليهم بشكل خاصّ في الإسكندريّة. ونقول الشيء عينه عن تأثير الفكر اليونانيّ في أوروبّا إبّان القرنين الخامس عشر والسادس عشر. أمّا في الشرق، فعرفت مصر انطلاقة مهمّة في بداية القرن التاسع عشر، وتبعها لبنان وسورية فانطلقت نهضة أدبيّة مهمّة في القرن الفائت، قبل أن يعود الشرق فيتزمّت وينحصر نفسه في تراث قديم لا يخرج منه لأنّه يخاف على نفسه من الضياع، كما يعتبر أنّ ما عُمل في القديم لا يمكن أن يُعمل مثله، فنام في ذلك القديم بانتظار القيامة.

٣ - موقع المسيحيّين في الشرق

عالج كتاب المسيحيّة عبر تاريخها في المشرق الغنى الذي حمله المسيحيّة إلى المحيط الذي عاشت فيه: ما قدّمته المدارس من فكرٍ جعل الإنجيل يتفاعل مع مختلف الحضارات، مع العلم أنّ بيزنطية أغلقت مدرسة أثينة لأنّها لا تفكّر مثلها؛ وما قدّمته الرهبنات وما زالت تقدّمه على مستويات عديدة، مع ما في هذه الجماعات المرتبطة بالصحراء والبرّيّة والانعزال عن الناس من عودة إلى الوراء، أو تقوقع في الماضي يجعل المؤمن يخاف فيلتجئ إليها؛ وأخيرًا، كلّ ما يتعلّق بالتراث على مستوى التأليف والكتابة وتفاعل الأدب اليونانيّ والفلسفة مع العالم العربيّ، وعلى مستوى فنّ العمارة والرسم. ولكن يمكن أن نقول هنا ما قلناه على مستوى الرهبنات: لم يخرج الشرق عمّا كان يفعله في عصره الذهبيّ. فالآباء هم البداية والنهاية، وما تلّوه من ليتورجيا وصلاة كنسيّة لا يُجارى. لهذا نبقى عند نصوصه كما عند ألحانه. ونقلّد طريقة البناء ورسم الأيقونات ولا نحاول أن نخلق جديدًا. أو نحن نحارب الجديد باسم القديم، لأنّنا نعتبر أنّ نار الروح التي ألهمت أجدادنا قد خبت اليوم، فصرنا نبحث عن دفء في بعض جمراتٍ باقيات. في هذا المجال، لا نقول فقط بانحطاط بدأ في أيّام الدولة العثمانيّة، بل بدأ في نهاية القرن الخامس وبداية السادس، ساعة أخذ الشرق يكرّر الماضي ولا يتعدّاه. وعلى سبيل المثال، وفي تقليد أعرفه، اكتفى أيشوعداد المروزيّ في القرن التاسع أن يكرّر ما قاله تيودورس، أسقف المصّيصة، في القرن الخامس. أمّا تفاسير الكتاب المقدّس اليوم فتكتفي مرّات عديدة بأن تورد ما قاله الآباء الواحد بعد الآخر. هم كتبوا من أجل عصرهم. ألا نستطيع أن نكتب من أجل عصرنا؟

كلّ هذا يفترض حرّيّة الرأي على مستوى الكنيسة كما على مستوى المجتمع. من أجل هذا، لا تستطيع المسيحيّة أن تقدّم مشروع حوار، لأنّها تهتمّ أكثر ما تهتمّ ببقائها. فالنار التي تحت الرماد تبقى نارًا، ولكنّها لا تُشعل ولا تُحرق. مرّت المسيحيّة في الجزيرة العربيّة قبل الإسلام، فماذا تركت وراءها؟ يُذكّر لنا وجهان: الأبجر ملك الرها، وبوليوس فيلبّس الإمبراطور الرومانيّ الذي حكم في منتصف القرن الثالث. كما تُذكر مجموعات اعتنقت المسيحيّة مثل التنوخيّين والغسانة، ومدن مثل نجران وغيرها. وبعد الإسلام، عرفت المسيحيّة الخضوع والاستسلام والتراجع، وما زالت. والسبب، لأنّ لا جديد لها تقدّمه إلى فاتحٍ بدأ واستفاد من خبرة المسيحيّين على مستوى الدواوين بشكلٍ خاصّ. لا شكّ في أنّه كانت محاولة لدى يوحنّا، بطريرك إنطاكية، سنة ٦٣٢، حين استعان بقبيلة طي، وغيرها من القبائل لنقل الأناجيل إلى اللغة العربيّة. ولكن من جهة ثانية، نُقلت الصلوات الليتورجيّة إلى السريانيّة، لا إلى العربيّة، بحيث انغلقت كنيسة إنطاكية شيئًا فشيئًا إلى أن صارت اليوم في طريق الزوال، بعد أن تركها مَن تركها وهاجر مَن هاجر.

وتحدّثت إحدى المقالات عن دور المسيحيّين في النهضة العبّاسيّة بالعراق وسورية، ولا سيّما عن طريق ترجمة النصوص اليونانيّة في بيت الحكمة ببغداد، فلم يؤثّروا في غنى الفكر المسيحيّ وحسب، بل في ما حمله أرسطو وأفلاطون. وإن وُجد كتّاب مسيحيّون، فقد

ظلّت كتاباتهم داخل الأديار أو الجماعات المنغلقة، وما يشهد على ذلك ركاكة لغة عدد من النصوص، ولا سيّما بعد الحقبة العبّاسيّة. ظهرت اليوم محاولات لنبش هذا التراث، وهذا أمر لا بأس به، ولكن لا يهتمّ به سوى بعض الباحثين القلائل. أمّا الحقبة الفاطميّة فمظلمة على الكنيسة في هذا الشرق، وبخاصّة في مصر، مع العلم أنّه ظهر فيها بعض الذين تركوا لنا آثارًا أقرب إلى التجميع منه إلى الخلق. وما قيل عن الفاطميّين يقال عن الأيّوبيّين، لا سيّما أنّ المسيحيّين اتُّهموا بالتعامل مع الصليبيّين. فكان الاضطهاد والتفرقة بين الملّيّ والذمّيّ.

لماذا الكلام على كلّ هذا؟ لكي نصل إلى التخلّص من عقليّة تريد أن تحافظ على الوضع الحاضر شرط ان لا تتضرّر مصالحنا. مثلُ هذه المسيحيّة التي تبدو وكأنّها لا تملك شيئًا تقدّمه إلى العالم الذي يحيط بها، لا يمكن أن تكون ملحًا للطعام وخميرًا في العجين ونورًا على مكيال يُرى من البعيد. ومسيحيّةٌ تستورد كلّ شيء تقريبًا من الخارج سواء أكان اليونان أو فرنسا وإيطاليا وألمانيا، أو أميركا، يكون خطابها من الخارج، وبالتالي لا يفعل في العائشين في الداخل. من أجل هذا يبدو عدد من المسيحيّين غرباء في أرضهم، ويذهبون إلى الخارج حيث «ينجحون» كما يقولون. ومن أجل هذا، نجد الدفاع بعد الدفاع يعلن أنّ المسيحيّين هم هنا منذ القرن الأوّل الميلاديّ. ولكن ما ينفع الدفاع، ماذا ينفع التغنّي بالماضي وأمجاده، إن لم يكن لنا اليوم غنى على مستوى تلاقي الحضارات والأديان؟

٤ – واليوم

ما اكتفى كتاب المسيحيّة عبر تاريخها في المشرق بأن يذكر الماضي، بل جعلنا في الحاضر ونتطلّع إلى المستقبل. أمّا الحاضر، فهو محاولةٌ لملمة كلّ طائفة لمؤمنيها، ولا سيّما منذ بداية القرن العشرين، وحسابُ الربح والخسارة منذ الحكم البيزنطيّ ومجيء الفرس مرورًا بكلّ الذين سيطروا على هذا الشرق حتّى الحرب العالميّة الأولى وبعدها. تنظّمت البطريركيّات والأبرشيّات، لا في الشرق وحسب، بل في أوروبّا وأميركا. وأقيمت علاقات بين الكنائس الخلقيدونيّة والكنائس اللاخلقيدونيّة، كما بين مختلف الطوائف المسيحيّة. ولكنّ الحواجز بين طائفة وطائفة تبقى حاضرة، بل هي لا تزول إلّا إذا خرجت كلّ طائفة من مجموعة تقاليد سَجنت نفسها فيها، وخرجت من «علّيّتها» على مثال الرسل يوم العنصرة. ولكنّ التلاميذ الذين شتّتهم الاضطهاد بعد مقتل إسطفانُس، كما يروي سِفر أعمال الرسل (أع ٨: ١) لم يهربوا ليؤسّسوا لهم تجارة رابحة في أماكن أخرى، بل ليبشّروا بالكلمة (أع ١١: ١٩). أمّا المسيحيّون الذين يلبثون حيث هم، فإن فقدوا طعمهم صاروا بدون فائدة. حينئذ يُطرحون خارجًا فتدوسهم الناس (إنجيل متّى ٥: ١٣). صاروا من العالم، والعالم يحبّ ما يشبهه. وبالتالي نسوا أنّ يسوع لم يأتِ ليحمل إليهم السلام والطمأنينة وراحة البال والحياة الهادئة، بل ليشعل نارًا. وما دامت هذه النار لم تشتعل، فعبثًا نسعى إلى أن يكون لنا دور في مجتمعنا. وما دامت الجماعات المسيحيّة في هذا الشرق مشرذمة تقاتل بعضها بعضًا ولا تتّفق على رأي، فكيف يمكن أن تكون شهادتها

صادقة، بحيث يرى فيها الآخرون تلاميذ المسيح؟

منذ القرن التاسع عشر، حاول المسيحيّون أن يقدّموا خطابًا علمانيًا يلتقي فيه المسيحيّون والمسلمون، على أساس عيش مشترك في وطن واحد. وكان كلام حاصّ في مصر حول المواطنة التي تضمّ الأقباط إلى المسلمين، بحيث لا يحسّون بنفوسهم مواطنين من الدرجة الثانية. هي أمور تتوقّف على السياسة والتقاء المصالح، ولا تصل بالإنسان إلى قِيَم تخرجه من إنسانيّته الضيّقة وترفعه إلى مستوى الله في شرق تؤمن جميعُ دياناته بالإله الواحد.

أمّا كلّ ما يقال في نهضة الكنائس، أو الطوائف، في مصر أو سائر أقطار الشرق، فلا يتعدّى أن يشمل أمورًا داخليّة، في إطار العيلة الواحدة. وهي في بعض الأحيان لم تتجاوز تأسيس مدرسة إكليريكيّة أو تأمين التعليم المسيحيّ في الرعايا والجماعات المحلّيّة، أو طبع كتاب طقسيّ قديم بتمويل من أوروبّا أو أميركا. وفي كلّ هذه الأحوال، انحصر العمل المسيحيّ في أشخاص أفراد في تيك الحقبة أو تلك، وتوقّف بغياب هؤلاء الأشخاص.

وتوقّف أكثر من مقال على وحدة الكنيسة والحركة المسكونيّة، وتوسّع في الكلام على الاجتماعات الدوريّة على جميع المستويات. لا شكّ في أنّ لكلّ اجتماع فائدته، أقلّه من أجل التعارف، وعدم التراشق بالتهم، والابتعاد عن عمليّة الاقتناص بواسطة المال أو غيره، ومن أجل اعتبار الكنيسة أوسع من الطائفة التي أنتمي إليها والتي وحدها تضمّ مؤمنين حقيقيّين. ولكن رغم كلّ هذه الاجتماعات لا نستطيع أن نصلّي بعضنا مع بعض، بل لا نعرف أن نقول معًا الصلاة التي علّمنا إيّاها الربّ يسوع: «أبانا الذي في السماوات». ولا نعرف أن نعمل معًا، فيخاف الواحد من الآخر لأنّه يخاف على نفسه، فالخوف يسيطر على كنائسنا. لهذا نحتاج إلى كلام الربّ لتلاميذه الذين كانوا في السفينة: «لماذا أنتم خائفون، يا قليلي الإيمان» (إنجيل مرقس ٤: ٤٠).

خاتمة

في ضوء الإيمان قرأتُ كتاب المسيحيّة عبر تاريخها في المشرق وثمّنتُ العمل الدؤوب هذا على مستوى المؤلّفين واللجنة العلميّة والمترجمين والمراجعين، كما قدّرت الذين ساهموا في إصدار «موسوعة» تتناول كنائس في الشرق، واكتشفتُ معلومات كثيرة على يد كتّاب جاؤوا من الكنائس المتعدّدة والاتّجاهات المختلفة. ولكنّي رفضتُ التوقّف على أمجادٍ ماضية ما زالت حاضرة في عمق وجداننا. وحاولتُ أن أثور على موقف نرضى عنه بعد أن رضي «الحاكم» عنّا فسمح لنا أن نأكل ونشرب ونتام، ولا نتطلّع إلى أبعد من ذلك. فماذا فعلنا بالإنجيل الذي هو روح هزّ الإمبراطوريّة الرومانيّة من أساسها، وانتظرنا منه أن ينظّم أمورنا الأرضيّة؟ أما يمكنه اليوم أن يحرّك فينا التجرّد والتواضع، فيدفعنا إلى لقاء بعضنا بعضًا نحن المسيحيّين، بانتظار لقاء أخوتنا المسلمين، في مشروع يجمع البشريّة كلّها في واحد، ما في السماء وما على الأرض؟

الأب بولس الفغالي

المسيحيّون السوريّون قديمًا وحديثًا

تأليف سمير عبده

دار علاء الدين، دمشق، ٢٠٠٠، ١١٦ صفحة

تطالع هذا الكتاب وترتاح إليه، وتنهي قراءته وكأنّك تنفّست من خلاله شحنةً وزينةً من الهواء النقيّ، وتقوم عنه متفائلًا تنطلق من الوقائع، مهما بدت سلبيّة أحيانًا، لتسمو إلى الأعلى وتُدعى إلى البناء والعطاء، بعيدًا عن التعصّب الأعمى والانغلاق، سعيدًا بوجودك، أنت المسيحيّ، في هذا المشرق العربيّ. ولا عجب، فسمير عبده، على ما عرفنا من سيرته الذاتيّة والأدبيّة، سوريّ سريانيّ، عمل في بلده وفي لبنان والأردنّ، وكان له علاقات وثيقة بالمغرب والغرب، على صلة بالثقافة الأوروبيّة إلى جانب ثقافتيه العربيّة والسريانيّة، له مؤلّفات وترجمات كثيرة في شؤون التربية وعلم النفس والسياسة. وفوق ذلك، لقد أخذ يركّز في السنوات الأخيرة على دور المسيحيّين في الشرق، فعرفنا من كتبه في هذا المجال: السريان قديمًا وحديثًا، عمّان، ١٩٩٧؛ السوريّون والحضارة السريانيّة، دمشق، ١٩٩٨؛ المسيحيّون السوريّون خلال ألفي عام، دمشق، ٢٠٠٠؛ يضاف إلى ذلك الكتاب الذي نحن الآن بصدده، ومؤلّف آخر صدر في العام ٢٠٠٢ بعنوان: المسيحيّون في سوريا على عتبة الألف الثالث.

أمّا كتاب اليوم، فإنّه يتميّز بأنّه تاريخيّ، اجتماعيّ، فلسفيّ في آن. ينطلق من أحداث الماضي ليستخرج العبَر ويحلّل الحاضر في وقائعه ومقارنته بالماضي، ليخلص إلى تطلّعات بنّاءة للمستقبل المنتَرَض. أجل، يتميّز كتاب سمير عبده بأنّه وفّر للمطالع الكثير من المعطيات التي تبيّن دور المسيحيّين في سورية - وهو يصفها هنا في حدودها الواسعة، حدود بلاد الشام -، ولكنّه أيضًا يمتاز بأنّه ينطلق من هذا الواقع ليرى فيه مثالًا ودعوة ورسالة، حرام أن يفرّط بها التقوقع أو الانقسامات أو الانهزاميّة أو عقدة نقص الأقلّيّة أو عكسها عقدة التعالي. وما أصدق ما كان قوله الذي يمكن أن يُختصر به كتابه: «المسيحيّون موجودون (في سورية) وقادرون على المتابعة في المشاركة، والتاريخ ما زال منهم ولهم...». «والواقع أنّ افتقاد المسيحيّين في سورية الطبيعيّة هو بلا شكّ خسارة وطنيّة عربيّة، وخسارة حتّى للكنيسة العالميّة لأنّ الوجود المسيحيّ في الشرق هو أساس الوجود المسيحيّ أصلًا، وهو رمز الاستمراريّة ووجه للرسالة المفترضة، وغياب المسيحيّين يُفقد صورة الإسلام المنفتح على العالم الذي يحاول الغرب بأيّ شكل من الأشكال تشويهه» (ص ٩٩). حقًّا إنّ في هذا الكلام صدًى لما أطلقه يوحنّا بولس الثاني في إرشاده الرسوليّ رجاء جديد للبنان (١٩٩٧)، ويردّده جميع أصحاب النيّات الحسنة.

ومن حسنات كتاب الأستاذ عبده أنّه يستند إلى وثائق كثيرة ومصادر متنوّعة، قديمة وحديثة، ما يجعل كتابه مرجعًا لا بدّ منه لكلّ باحث في شؤون الكنائس الشرقيّة بعامّة، ومواقفها من الحوار بين الأديان والإسلام بخاصّة.

وليسمح لنا حضرة المؤلّف أن نبدي له بعض الملاحظات بغية استدراك عدد من

الأخطاء وتحسين الكتاب في طبعة لاحقة:

- ورد في الكتاب أغلاط طباعيّة كثيرة، نذكر منها على سبيل المثال فقط، ما جاء في الصفحة ٢٨: ويفضل مسيحيّو لبنان (السطر ٤)؛ الشمّاس عبدالله الزاخم، والصحيح الزّاخر (الحاشية ٥٥)؛ فؤاد أفرام البستاني، عوضًا عن أفرام (الحاشية ٥٥). وجاء في الصفحة ١٩، (الحاشية ٥٥) السطر الثالث: «أمّا العهد الجديد (. . .) فيشمل ثلاث مجموعات من الأسفار التي يعترف بها اليهود، وهي (التوراة) و(الأنبياء) و(الكتب)». والمفروض لا «العهد الجديد» بل العهد «القديم». وفي أسفل الصفحة ٨٨ ورد اسم يوحنّا الذهبيّ الفم على النحو التالي: يوحنّا كريستم (ولعلّه تشويه للعبارة اليونانيّة «خريزوستومُس»). وفي صفحة المراجع الأجنبيّة (١١٤) ما لا يقلّ عن ستّ أغلاط في عشرة أسطر.

وثمّة أخطاء تاريخيّة قليلة نرجو تصحيحها. منها ما ورد في الصفحة ١٩ (المقطع الأخير في الحاشية) حيث قيل إنّه، خلافًا للبروتستانت الذين يرون أنّه «يحقّ لكلّ فرد أن يقرأ التوراة وينشرها كما يشاء»، فقد «رأت الكنيسة الكاثوليكيّة أنّ التوراة يجب ألّا يقرأها إنسان سوى الكهنة»! والصحيح أنّ الكاثوليك يقولون إنّ السلطة الكنسيّة هي المخوّلة وحدها إعطاء التفسير اللاهوتيّ الصحيح. ومنها ما جاء عند الكلام على «القاصد الرسوليّ» (ص ٦٨، الحاشية ٥)، إذ شرح الأستاذ عبده عبارة «القاصد الرسوليّ» على هذا النحو: «تُطلَق على الشخص الذي ينوب عن الكرسيّ الذي أتى منه، أو كان عليه، أوّل أسقف من نسل المسيح». والصحيح أنّ القاصد الرسوليّ هو مبعوث يُرسله البابا إلى بلد أو بطريركيّة أو سواهما (ويُقال له بالفرنسيّة Légat). أمّا التفسير الذي ساقه المؤلّف فينطبق على ما يُعرف بـ «النائب الرسوليّ» (Vicaire Apostolique).

الأب كميل حشيمه

نصيبين في تاريخ كنيسة المشرق قديمًا وحديثًا

تأليف نوري إيشوع متو

القامشلي (سورية)، ٢٠٠١، ٣٠٤ صفحات

شُغِف الشمّاس نوري إيشوع بشؤون كنيسته الكلدانيّة فنشر أخبارها ونشر حولها عددًا من المقالات في مجلّاتها لا سيّما نشرة إيرشيّة حلب ودوريّة نجم المشرق التي تصدر في بغداد. وبكتابه في نصيبين يقدّم اليوم دراسةً مسهبة متكاملة تعالج تاريخ إحدى أعرق حواضر الأمّة الكلدانيّة والكنيسة الشرقيّة.

في القسم الأوّل من المصنَّف، يستعيد المؤلّف «تاريخ كنيسة المشرق عبر التاريخ»، مبيّنًا انتشارها وتنظيمها وطقوسها ولغتها ورهبانها ومدارسها واندفاعها التبشيريّ ومجامعها وعلمائها وشهداءها وجثالقتها (ص ٩-٩٤). وفي القسم الثاني يركّز على «نصيبين في تاريخ كنيسة المشرق قديمًا»: إسمها، موقعها، زمن انتشار المسيحيّة فيها، حدود إيرشيّتها، أديارها، مدرستها، أشهر تلامذتها، مطارنتها (ص ٩٥-١٧٤). أمّا القسم

الثالث فيستعرض، في لمحة تاريخيّة، «بعض المراكز التي كانت تابعة لإبرشيّة نصيبين»، كآمد وسعرت وبازبداي وماردين، ووان (ص ١٧٥-٢٢٢). وفي القسم الرابع والأخير (ص ٢٢٣-٢٧٤) يصف الشمّاس إيشوع «نصيبين في تاريخ كنيسة المشرق حديثًا»، باسطًا كلامه على مدينة النامشلي، «نصيبين الجديدة»، ونزوح أبناء الكنيسة الكلدانيّة إليها، وما آلت إليه فيها كنائسهم ومؤسّساتهم، ذاكرًا رؤساءهم وكهنتهم وأُسَرهم. ويتهي المصنّف بملحق غنيّ بالصور الشمسيّة وفهرس وافٍ بالمصادر والمراجع القديمة والحديثة، إن دلّ على شيء فعلى سعة اطّلاع صاحب الكتاب، مقرونةٍ بروحٍ علميّة موضوعيّة لا تتنافى ونَفَس المغرَم بتاريخ شعبه وملّته.

نثني على واضع الكتاب ونتمنّى له المزيد من العطاء في هذا المجال.

أ. كميل حشيمه

دير مار موسى الحبشيّ
دينيًا، أثريًا، فنيًا. - النبك، سورية
تأليف عبّود حدّاد

سلسلة «دراسات سريانيّة»، رقم ٥، دار ماردين، حلب، ١٩٩٩، ٢٧٠ صفحة

لمّا تسلّمنا كتاب الأستاذ عبّود حدّاد في «دير مار موسى الحبشيّ» قلنا: «لقد أُعطيت القوس باريها»، وتوسّمنا في المؤلّف خيرًا جزيلًا. فالمؤلّف أستاذ اللغة السريانيّة وآدابها سابقًا في جامعة حلب، ونائب رئيس جمعيّة العاديات في الشهباء، وعضو سابق في مجلس الشعب السوريّ على دورتين، وفي مجلس محافظة حلب التنفيذيّ، ملتزم بحماسة وغيرة شؤونَ وطنه وطائفته السريانيّة وتراثها. لذا فلا عجب إن جاء كتابه دراسة عميمة النفع، ضمّنها صاحبها ثمرة أبحاث مركّزة ومطالعات ممحّصةٍ صارمة في الوثائق والأحداث.

يقع دير مار موسى الحبشي في السفح الشرقيّ من جبال القلمون السوريّة على بعد نحو ٢٠ كيلومترًا من مدينة النبك، في ناحية معزولة استقطبت الرهبان والنسّاك السريان منذ القرون المسيحيّة الأوائل، إذ يرقى الدير إلى نحو ١٤ قرنًا. وظلّ مأهولًا حتّى الربع الأوّل من القرن التاسع عشر لمّا انتقل من السريان الأرثوذكس إلى عهدة السريان الكاثوليك، فأُهمل تدريجًا وصار في مطلع القرن العشرين ساليًا تمتدّ إليه يد العابثين. إلّا أنّه قُيّض له أن يعيد اكتشاف أهمّيّته راهب يسوعيّ شابّ، إيطاليّ انتمى إلى إقليم رهبانيّته في الشرق الأدنى، وسعى منذ مطلع الثمانينيّات من القرن العشرين لإعادة ترميمه وبثّ الحياة الرهبانيّة فيه مجدّدًا، وجَعْلِه مكان لقاءات روحيّة وحوار بين المذاهب والأديان. وتحمّست السلطات الوطنيّة والهيئات الثقافيّة العالميّة لهذا المشروع، لما للدير من قيمة أثريّة فريدة لا سيّما من جهة رسومه الجداريّة القديمة الرائعة، ويتقاطر الزوّار اليوم على هذا المَعْلَم بأعداد غفيرة للاستطلاع والتبرّك والاغتباط، لا سيّما في عيد القدّيس موسى يوم ٢٨ آب/ أغسطس.

يتصدّر كتاب الأستاذ الحدّاد تقديم علميّ توضيحيّ بقلم مؤسّس دار ماردين ولولب حركتها، سيادة متروبوليت حلب على السريان الأرثوذكس غريغوريوس يوحنّا إبراهيم، ثمّ يتوسّع المؤلّف في موضوعه بمنهجيّة دقيقة واضحة سلسلة ممّا، متوقّفًا على كلّ ما يمتّ إلى معرفة الدير: مدينة النبك ومحيطها، تاريخ تأسيس الدير، تساؤلات حول تسميته، مكانته وشهرته، مكتبته التي زخرت بالمخطوطات الثمينة، أهمّ خرّيجيه، كنيسته وجداريّاتها ورسومها، الكتابات العربيّة والسريانيّة في المعبد وخارجه. وفي آخر الكتاب رسوم شمسيّة ملوّنة تبرز أهمّ معالم الدير وجداريّاته، وثبت غنيّ بالمراجع، معظمها عربيّ وبعضها غربيّ.

وإذ نبدي ارتياحنا إلى هذا الكتاب الكثيف المادّة على صغر حجمه، ونثني على همّة واضعه، نلفت نظر حضرته إلى هفوتين صغيرتين – قد يكون مردّهما إلى المصدر الذي استند إليه –. فقد ورد في الصفحة ٨٧ لدى ذكر الأماكن التي حبس فيها الناذرون أوقافًا للدير، بلدتَي «بشوت» و«اللفيكة»، والصحيح هو: «بِشْوات» (قرب دير الأحمر) و«الفِيكِة» (وهي التسمية العامّيّة لبلدة «الفاكهة» قرب بعلبكّ).

أ. كميل حشيمه

Histoire d'un siècle (1857-1953)
Congrégation des Sœurs des Saints Cœurs
de Jésus et de Marie
par le Père Henri Jalabert, S.J.
2ème édition revue et corrigée
Edit. Maison Centrale des Sœurs des SS Cœurs
Beyrouth, 2001, 288 pages

تاريخ قرن من الزمن
رهبنة قلبَي يسوع ومريم الأقدسين

إحتفلت رهبانيّة قلبَيْ يسوع ومريم الأقدسين في العام ١٩٥٣ بمرور مائة سنة على تأسيسها، ولهذه المناسبة أعدّ المؤرّخ اليسوعيّ المرحوم الأب هنري جلاير كتابًا بالفرنسيّة روى فيه تاريخ سنوات الرهبانيّة المائة الأولى المنصرمة، فصدر العامَ ١٩٥٦ بالفرنسيّة في ١٩٦ صفحة. وبعد مدّة من الزمن، في العام ١٩٨٥، أكبَّ على مراجعة نصّه الأوّل سعيًا إلى تحديثه وزيادة فصولٍ تحكي ما طرأ على الرهبانيّة في السنوات الثلاثين التالية. وقد جمع لهذه الغاية وثائق كثيرة وألّف نصًّا لم يُتَح له، مع تقدّم سنّه ووفاته في العام ١٩٩٩، تنظيمها كاملةً وكتابة تاريخ الرهبانيّة حتّى السنة ١٩٧٥. لذا قرّرت رئاسة الجمعيّة أن يوكَّل تحرير تاريخ السنوات الخمسين التالية (من ١٩٥٣ إلى ٢٠٠٣)، على أن يصدر لاحقًا نصّ مؤاتٍ لمناسبة الذكرى المائة والخمسين لتأسيس الرهبانيّة. وبانتظار ذلك الاستحقاق، نشرت طبعةً ثانية لكتاب الأب جلاير منقّحةً ومزيدًا عليها وبإخراج أنيق جميل.

أمّا الزيادات فمعظمها بدت في الحواشي الكثيرة التي شرح فيها المؤلّف ما قد يلتبس على القارئ غير المتخصّص، وعرّف الأشخاص الواردة أسماؤهم، كما أنّه أدخل، في معرض الكلام على بعض الأحداث، إيضاحات وتصحيحات. فعلى سبيل المثال، جاءت الحاشية ١١٤ (ص ١٨٤) تخفّف من قساوة حكم كان أطلقه أحد الآباء في شأن الأدبية سلمى صائغ وسلوكها تجاه مبتم غزير إيّان الحرب الكونيّة الأولى. ويلفت النظر أيضًا ما قاله المؤلّف في الصفحات (٨١-٨٤) على بطريركيّة الشيخ الريّس، التي أضحت القدّيسة رفقا، مصحّحًا ما أورده في طبعته الأولى، إذ ردّد ما كان رائجًا في البدايات أنّ رفقا انتمت إلى الرهبانيّة اللبنانيّة العام ١٨٧٥ في إثر إجراءات إلغاء رهبانيّة القلبين الأقدسين آنذاك، وأورد في النصّ المصحّح، وبعد مراجعةٍ مدقّقة لسجلّات الراهبات اللبنانيّات، أنّ رفقا التحقت بديرهنّ في العام ١٨٧٣ لأنّها كانت-تتوق إلى حياة جماعيّة لم توفّرها لها حياة الرسالة التي كانت تعيشها بالقرى في شيء من العزلة.

وإلى الإضافات والإيضاحات العديدة من هذا النوع، يُلاحَظ أنّ الفصل الخامس عشر والأخير (ص ٢١٨-٢٣٧) قد أعيد تأليفه كاملًا.

هذا الكتاب وثيقة في غاية الأهمّيّة، يروي، لكأنّه الملحمة، تاريخ رهبانيّة عريقة كانت أولى الرهبانيّات الرسوليّة النسائيّة في الشرق، وساهمت، بروحانيّتها واندفاعها، في خدمة الكنيسة والأوطان على نحوٍ قلّ نظيره، ومدارسها ومستشفياتها وإرساليّاتها ما وراء البحار، وعدد أعضائها الذي يناهز اليومَ الـ ٤٢٥ راهبة، لخير شاهد على ذلك.

ولا بدّ، مع ثنائنا على هذا التأريخ الرائع، من إبداء ملاحظةٍ حول الرسوم التي أُلحقت به. فقد بدّل الناشرُ الطريقة المتّبعة في الطبعة الأولى، فجمع في آخر الكتاب صورًا شمسيّة لجميع الأديار التي أُسّست منذ البدايات حتّى ١٩٤٥ مرتّبةً ترتيبًا زمنيًّا، وحسنًا فعل. إلّا أنّه ضرب صفحًا عن جميع الصور الأخرى التي كانت ضمن الكتاب الأوّل وبعضها للأشخاص، راهباتٍ وآباء يسوعيّين، الذين اضطلعوا بدور في تأسيس الجمعيّة ومسيرتها، وبعضها الآخر لعدد من النشاطات التي تقوم بها الرهبانيّة. فيا ليته حافظ عليها، أو أقلّه على بعضها، لأنّها جزء من تراث الجمعيّة العريق. ومن هذه الصور، تلك التي تمثّل أوّل بيت سكنته الراهبات في بكفيّا (الصفحة ٣٢ من الطبعة الأولى)، وقد أُهملت في الطبعة الجديدة. ويحزّ في قلبنا، هذا الإهمال لسببين: أوّلهما عاطفيّ نسوقه لطرافته، إذ بمثّ إلينا شخصيًّا! فقد تملّكنا العجب لمّا شاهدنا هذه الصورة وهي تمثّل بيتًا كانت تملكه جدّتي لوالدي، مريم جرجس حشيمه، وهي من نسيبات شمس حشيمه التي جاء ذكرها بين المؤسّسات العشر (ص ٣٨)، والتي يبدو أنّها سمّيت في الرهبنة «نقلا» وعُيّنت لاحقًا معاونةً للرئيسة العامّة (ص ٧٠)... والسبب الثاني هو أنّ بلديّة بكفيّا استملكت هذا البيت في الستّينيّات من القرن الماضي وهدمته لتجعل مكانه حديقة عامّة، فمحت بذلك أثرًا تراثيًّا فريدًا ومَعْلَمًا من المعالم التي كان بإمكانها الافتخار به على الدوام. فوا أسفاه!

وثمّة ملاحظة ثانية حول خطأ تاريخيّ دقيق زلّ به قلم المؤلّف، إذ ورد في الصفحة ١٢، ضمن مختصر الفصل الذي كان الأب جلاير ينوي تأليفه، أنّ الدولة السوريّة أُمّت يوم ٧

آذار ١٩٦٧ جميع المدارس المسيحيّة في ديارها، والصحيح أنّها لم تؤمَّم إلّا المدارس الكاثوليكيّة التي رفضت آنذاك قبول شروط الحكومة (وندمت على ذلك لاحقًا!).

ختامًا نقول: حبّذا لو تُبادر جميع الرهبانيّات النسائيّة الشرقيّة إلى تدوين ما لها من تاريخ، لتعمّ الفائدة.

الأب كميل حشيمه

مفكّرة المطران عبدالله خوري
يوميّاته إبّان المفاوضات من أجل لبنان الكبير، باريس ١٩٢٠
وملحقان بالمستندات والأعلام
مراجعة وتقديم سامي سلامه
منشورات جامعة سيّدة اللويزة - لبنان
٣٤٢ صفحة (القسم العربيّ)، ١٦ صفحة (القسم الإنكليزيّ)
مع خارطة لبنان كما رسمتها البعثة العسكريّة الفرنسيّة ١٨٦٠-١٨٦١

هذا الكتاب، المرجع الثمين، يتضمّن يوميّات المطران عبدالله خوري كما خطّها بين أوّل شباط وأوّل تشرين الأوّل ١٩٢٠، عندما تمّ تكليفه بترؤّس الوفد اللبنانيّ الثالث إلى مفاوضات باريس، وقد تشكّل من الأستاذ إميل إدّه والشيخ يوسف الجميّل والأمير توفيق أرسلان والمطران كيرلّس معتّب (بعد فترة) بهدف التفاوض من أجل ضمّ الأقضية المسلوخة عن لبنان بموجب نظام المتصرّفيّة العام ١٨٦١، وهي بيروت وطرابلس والجنوب والبقاع، مقدّمةً لتحقيق الاستقلال وإعلان دولة لبنان الكبير.

والواقع أنّ هذا المجلّد، وإن ركّز على ماجريات الأمور التفاوضيّة في باريس، فهو يكشف عن شخصيّة المطران عبدالله خوري (١٨٧٢-١٩٤٩) الذي لُقّب بـ«الداهية» لحنكته وذكائه ومعرفته ببواطن الأمور ونتائجها. لازم البطريرك إلياس الحويّك الذي كان قد ولّاه إلى الدرجة الأسقفيّة في ١٩١١، وخلفه البطريرك أنطون عريضة، فتولّى شؤون الكنيسة المارونيّة في أثناء غيابهما، كما كلّفه هذان البطريركان مهمّات وطنيّة وكنسيّة في العالم العربيّ وأوروبّا وأميركا.

أمّا الوفد الثالث إلى مفاوضات باريس فإنّه استمرّ في مهمّته زهاء ثمانية أشهر أثمرت قرارًا دوليًّا بقبول المطلب اللبنانيّ بتكوين دولة لبنان الكبير. إذ إنّ يوميّات المطران عبدالله، الموجودة في أرشيف بكركي، تبيّن أنّ الوفد اللبنانيّ أصرّ على رفض تقسيم لبنان أو ذوبانه، وعلى عدم القبول بفكرة إنشاء وطن للمسيحيّين وحدهم، أو بنظريّة الدولة الكونفدراليّة. وعندما تستند كتابة التاريخ إلى الوثائق والمعلومات الحقّ، فإنّه يتبيّن كم أنّ حدود الوطن اللبنانيّ جاءت نتيجة مفاوضات باريس عبر الوفود الثلاثة، لا نتيجةً لاتّفاقيّة سايكس - بيكو وملحقاتها، كما يذهب بعض أصحاب الغايات المشبوهة إلى ذلك.

اليرميّات - المفكّرة أثبتها المحقّق سامي سلامه في بداية الكتاب في حوالى الـ ٦٥ صفحة، وأتبعها بملحق للمستندات والمذكّرات التي قُدّمت في أثناء المفاوضات، وكذلك بملحق وافٍ دقيق للأعلام اللبنانيّين والعرب والأجانب، وخصوصًا تلك الواردة في متن نصّ المفكّرة.

الأب سليم دكّاش

الصهيونيّة والبانتُركيّة وقضيّة غاراباغ

(مجموعة أبحاث ومقالات)

دار بيسان، بيروت، ٢٠٠٢، ١٦٠ صفحة

عنوان هذا الكتاب مثير، وصورة غلافه تزيد في إثارته، إذ تُظهر يدًا إسرائيليّة تصافح يدًا تركيّةً فوق منطقة تتوسّطها أرمينيا وغاراباغ. وقد يخيّل إلى مَن يتناول الكتاب متسرّعًا أنّه من المؤلّفات الدعائيّة المتطرّفة التي تلجأ إلى الشعارات المنحازة. إلّا أنّ القارئ المتمعّن لا يسعه إلّا أن يعترف بما لهذا المصنَّف من أسس تاريخيّة علميّة راسخة، تبرّر ما يدفع الأرمن إلى التنديد، من دون هوادة، بالمجازر التي قام بها الأتراك في حقّهم، ومطالبتهم بأن يعترف هؤلاء بما فعلوا.

نشرت الكتاب «الهيئة الشعبيّة الأرمنيّة»، وضمّته عددًا من المقالات، بعضها صدر بالعربيّة ومعظمها بلغات أجنبيّة كالإنكليزيّة والروسيّة، وجميعها بقلم اختصاصيّين معروفين يستندون إلى الدراسات والوثائق التي لا يرقى إليها أيّ شكّ، كُتبت بلغات كثيرة كالألمانيّة والروسيّة والفرنسيّة والإنكليزيّة والفارسيّة، وحتّى اللاتينيّة، وبالطبع الأرمنيّة والعربيّة. وجميع هذه الأبحاث تُظهر مدى تحالف الصهيونيّة والحركات التركيّة التوسّعيّة على حساب الأرمن والعرب، ومن أمثال ذلك دعمُ الصهاينة، حلفاء الماسونيّة، السلطة العثمانيّة المريضة بغيةَ تسهيلها توطين اليهود في أرض إسرائيل العتيدة، ودعمَ دولة إسرائيل الحاليّة لأذربيجان في حربها على أرمن غاراباغ، ودور «الدونمة»، تلك الشيعة اليهوديّة المتستّرة، في اختراق الإسلام التركيّ لابتزازه (ص ٩٩-١١٥).

الكتاب جدير بالمطالعة، وإنّه ليفتح أبوابًا كادت أن تكون مغلقة على كثير من المثقّفين.

ونشير ختامًا إلى غلط ورد في أسفل الصفحة ٣٥ ينسب سفرَي زكريّا وإرميا إلى الإنجيل (!)، في حين يجب نسبتهما إلى الكتاب المقدّس عامّة.

أ. كميل حشيمه

القرار رقم ٣٣٧٩ ومؤتمر دربان

مقاربات المتصريّة الصهيونيّة

تأليف الدكتور جورج جبّور

الطبعة الثالثة، دار طلاس، دمشق، ٢٠٠١، ١٦٤ صفحة

لا شكّ في أنّ الدكتور جورج جبّور طويل النَفَس، جلود صبور في متابعة طروحاته وتعقّب نتائجها ومؤثّراتها، وتمحيص ردود الفعل عليها. وخير دليل على ذلك أنّه يعود، وللمرّة الثالثة، إلى دراسة القرارّ رقم ٣٣٧٩ الصادر عن الأمم المتّحدة في العام ١٩٧٥، مساويًا بين الصهيونيّة والعنصريّة. وبسبب ما لاقاه هذا القرار من مناهضة على يد أميركا والصهيونيّة، وما ووجهت به تلك المناهضة من ردود فعل معاكسة، راح د. جبّور يتعمّق في البحث ويسلّط مع الوقت أضواءً جديدة على تطوّر المسألة. وبعد طبعة كتابه الأولى (١٩٩١)، صدرت الطبعة الثانية منقّحةً ومزيدًا عليها في آذار ٢٠٠١ (اطلب تعريفها في المشرق ٢٠٠٢: ٢٥٦-٢٥٨). وها إنّه يُسرع ويلحق الطبعة الثانية تلك بثالثة توسّع فيها توسُّعًا ملموسًا، مضاعفًا عدد الصفحات من جهة، وآتيًا بإضمامة من الوثائق الجديدة المعبّرة (اطلب الصفحات ١١١-١٦٤). ويكتسب كتاب الدكتور جبّور أهمّيّة خاصّة من كونه حضر، في عداد الوفد السوريّ، مؤتمر دربان الأخير الذي انعقد في أوائل أيلول/ سبتمبر ٢٠٠١. وإنّنا لنثمّن ما قاله المؤلّف بأنّ هذا المؤتمر هو «أخطر مؤتمر ذي صلة بالصراع العربيّ الصهيونيّ» لأنّه شهد «إدانةً للعنصريّة الصهيونيّة والإسرائيليّة حظيت بأكبر قدرٍ من الاهتمام الدوليّ سياسيًّا وإعلاميًّا» (ص ١١)، كما نتوقّف على فكرة أوردها صاحب الكتاب، إذ قال إنّ تلك الصهيونيّة التي قامت على ضرورة التحالف مع القوى الاستعماريّة قد «ناهضتها منذ البداية الصهيونيّة الثقافيّة التي كانت تودّ أن تنأى بنفسها عن هذا التحالف، والتي كانت تودّ أن يتمّ الاستيطان على نحوٍ فرديٍّ مقبول لدى الفلسطينيّين، بعيد عن الغضب الذي تأتي به قوى الهيمنة الدوليّة» (ص ١٢). ولكن، ويا للأسف، «على مَن تقرأ مزاميرك يا داود؟».

أ. كميل حشيمه

أخبار حلب

كما كتبها نقّوم بخّاش في دفاتر الجمعيّة

الجزء الرابع - الدفتر الخامس ١٨٦٦-١٨٧٥

حقّقه وعلّق عليه الأب يوسف قوشاقجي

مطرانيّة الروم الكاثوليك، حلب، لا.ت. (٢٠٠١؟)، ٥٤٨ صفحة

سبق للمرحوم الأب يوسف قوشاقجي، المثقّف الأديب اللامع والمدقّق البارع، أن نشر في السنوات ١٩٨٥ و١٩٨٧ و١٩٩٢ ثلاثة مجلّدات من يوميّات المعلّم نقّوم بخّاش الحلبيّ (توفّي ١٨٧٧). وكان قد أعدّ للطبع المجلّد أو الدفتر الرابع والأخير لمّا وافته المنون في

مطلع العام ١٩٩٥. وقد قُيّض للكتاب أن يصدر أخيرًا بهمّة بعض الغيارى لا سيّما مطرانيّة الروم الكاثوليك في حلب، والمهندس عبدالله حجّار، صاحب الأبحاث في آثار حلب وتراثها، الذي راجع عمليّة الطباعة، والشابّ جورج زيريه الذي وضع الفهارس بهمّة مشكورة. وهذه الفهارس متنوّعة مفصّلة، جُعلت بترتيبها على النحو الذي اتّبعه المؤلّف فخصّصت على التوالي بالسلاطين وأصحاب الألقاب، والحرب والصلح والفتن، ورجال الدين المسيحيّ، والأخبار والشؤون المسيحيّة، ورجال الدين الإسلاميّ، والأماكن، والحياة الثقافيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة، والحوادث المختلفة، والأمراض والصحّة، ومكتب البخّاش. ومن خلال هذه الأخبار تبدو أهمّيّة المصنَّف لمعرفة أحوال حلب في القرن التاسع عشر، وكأنّه مرويّة بلغة طريفة أقرب ما تكون إلى المحكيّة، كان للبخّاش فضل كبير في حفظها للأجيال اللاحقة والعلماء.

ختامًا، وإذ نشكر للناشرين إصدارهم الكتابَ المفيد جدًّا هذا، تلفت إلى معلومة عابرة خاطئة وردت في الصفحة التي تسبق الأولى، إذ قيل إنّ الأب قوشاقجي التحق في العام ١٩٢٥ «بدير القدّيس يوسف للآباء اليسوعيّين في بيروت»، ما قد يعني أنّه، رحمه الله، انتمى إلى الرهبانيّة اليسوعيّة. والصحيح أنّه التحق بالمعهد الإكليريكيّ الشرقيّ التابع لجامعة القدّيس يوسف بإدارة الآباء اليسوعيّين في بيروت.

أ. كميل حشيمه

دور مكتبة الإسكندريّة
في دعم ثقافة الحوار والتسامح

محاضرات ألقيت في لقاء نظّمه منتدى حوار الحضارات

في الهيئة القبطيّة الإنجيليّة للخدمات الاجتماعيّة

تحرير نبيل نجيب سلامه

دار الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٢، ١٤٠ صفحة

هذا الكتاب الصغير بحجمه، كبير بمضمونه. فهو يزخر بالمعلومات ويكتنز زبدةً من المقاربات والطروحات عَرَضَها نُخبة من المفكّرين المصريّين في أثناء ندوة لمناسبة تدشين مكتبة الإسكندريّة الجديدة في ٢٣ نيسان/أبريل ٢٠٠٢، هذا الصرح الرائع الذي استغرق إنشاؤه ١٤ عامًا، وكلّف ما يزيد على سبعمائة مليون دولار، وسوف يستوعب ثمانية ملايين كتاب ويكون، بالإضافة إلى تخزين الكتب، ملتقى لحوار الحضارات، والثقافات العالميّة.

يتصدّر المصنَّفَ الكلمة التي ألقاها المهندس نبيل صموئيل أبادير مدير عامّ الهيئة المضيفة، فذكّر باختصار ما كان من دور مكتبة الإسكندريّة ماضيًا، وربطه بما تبتغيه المكتبة الجديدة والدّور الذي تتطلّع إليه. تلاه د. إسماعيل سراج الدين مدير المكتبة وعنوان حديثه «مكتبة الإسكندريّة. رؤية مستقبليّة»، ثمّ توالت المداخلات على النحو التالي: «مكتبة الإسكندريّة بين الأصول التراثيّة والظروف التاريخيّة» (د. لطفي عبد الوهّاب يحيى)، «دور

مكتبة الإسكندريّة في تقدّم العلم... ودور العلم في الحضارة والنهضة» (د. سمير حنّا صادق، عضو المجلس الأعلى للثقافة)، «المحرّمات الثقافيّة والعقل» (د. مراد وهبه)، «حرّيّة الإبداع في الخطاب الأدبيّ» (د. صلاح فضل)، «الاتّفاق والاختلاف في الرأي في الثقافة العربيّة» (السفير حسين أحمد أمين). وأدرجت، بعد نصوص هذه المحاضرات، ما تبعها من حوارات ومداخلات (ص ٧٠-٧٨)، وكلمة السيّدة سوزان مبارك قرينة رئيس الجمهوريّة وراعية اللقاء (ص ٧٩-٨٨)، ونصًّا لمحرّر الكتاب بعنوان «مكتبة الإسكندريّة رحلة عبر الزمان»، ثمّ نصّ القانون بشأن المكتبة مع قرار رئيس الجمهوريّة المتعلّق بها، ولائحة بأسماء أعضاء مجلس أمناء المكتبة مع نبذ عنهم، علمًا أنّ عددهم ٢٢، اختيروا من الشخصيّات العالميّة الفكريّة المرموقة كأمبرتو إكو (إيطاليا)، وجاك أتالي (فرنسا)، وحنان عشراوي (فلسطين)، وطاهر بن جلّون (المغرب)، وكازور تاكاهاشي (اليابان)، وأحمد كمال أبو المجد (مصر)، وليلى تكلا (مصر)، ووليام وولف (الولايات المتّحدة الأميركيّة). وفي قسم أخير ملفّ لما نُشِر في الصحف المصريّة حول اللقاء.

أ. ك. حشيمه

A la recherche du temps retrouvé avec mon père
l'architecte Mardiros H. Altounian
par Achot M. Altounian
Imprimerie Chemaly & Chemaly, Beyrouth, 2001 (?), 96 pages

إحياء ذكرى المهندس المعمار مرديروس ألطُونيان
سيرته وآثاره

عرّفت مجلّة المشرق في عددها السابق (٢٠٠٢، ص ٢٦١) كاتبًا خُصَّ بالشخصيّة الأرمنيّة العالميّة كالُوست غولبنكيان. وها هي اليوم تقدّم إلى قرّائها عَلَمًا آخر من أعلام الشعب الأرمنيّ، الذي سطع نجمه في دنيا الفنّ بعامّة، والعمارة بخاصّة، على نحوٍ عزَّ نظيره. فقليلون من اللبنانيّين يعرفون، ويا للأسف، أنّ المعمار العبقريّ الذي صمّم وبنى صروحًا عديدة رائعة الجمال باتت اليوم من تراثهم، هو مرديروس ألطونيان (١٨٨٩-١٩٥٨). فهو الذي شيّد المجلس النيابيّ في ساحة النجمة ببيروت، وبُرج ساعة العبد بالساحة نفسها (في الثلاثينيّات من القرن الماضي)، وبطريركيّة الأرمن الأرثوذكس وكنيستها في مدينة أنطلياس شمال بيروت (١٩٣٩-١٩٤٠)، وباسيليكا القدّيس بولس في حريصا - لبنان (١٩٤٧-١٩٥٠)، وجامع الإمام أبي بكر في شارع المرفأ بوسط بيروت، إلى مصحّ المزّونيّة وعدد من الدور الفخمة. وله، خارج لبنان، قبّة جرس كنيسة المهد في بيت لحم (١٩٥٦)، وكنيسة القدّيس غريغوريوس المنوِّر في بغداد (١٩٥٢-١٩٥٤)، وقصر الضيافة في عمّان بالأردنّ. أضف إلى ذلك أنّه كان رسّامًا بارعًا وقد صدر له بريشته، في ما صدر، لوحات كبيرة زيّنت كنيستَي البطريركيّة الأرمنيّة

في أنطلياس والبطريركيّة الأرمنيّة في القدس.

كُتِب هذا الكتاب بلغة فرنسيّة أنيقة وزُيِّن بصور ملوّنة جميلة معبّرة تخلّد إنجازات مرديروس ألطونيان، ذلك النابغة الأرمنيّ اللبنانيّ الذي تفخر به أمّتاه.

أ. كميل حشيمه

الدكتور روبيرت جبه جيان
قرن من العطاء (١٩٠٩-٢٠٠١)
تأليف الدكتور سمير أنطاكي
دار الضاد للطباعة والنشر، حلب، ٢٠٠١، ١٤٦ صفحة

سبق أن عرّفنا في هذه المجلّة كاتبَين من تأليف الدكتور سمير أنطاكي، النطاسيّ الأديب، الاختصاصيّ بطبّ الأعين (راجع المشرق ٦٨ - ١٩٩٤ -: ٢٥٣ و٢٥٤). ويسرّنا اليوم أن نستعرض كتابًا آخر من كتب حضرته الكثيرة، لا سيّما أنّه يدوّن سيرة عَلَمٍ من أعلام طبّ العيون وروّادها في البلدان العربيّة، المرحوم روبيرت جبه جيان.

وُلد الدكتور جبه جيان في ٢ آب/أغسطس ١٩٠٩ في مدينة عينتاب بجنوب تركيا الحاليّة، وسُرعان ما انتقلت به والدته إلى حلب هربًا من المجازر الوحشيّة التي لحقت بالأرمن في ذلك الزمن الرديء وأودت بعدد من أقرباء الطفل. درس روبيرت الطبّ في الجامعة الأميركيّة ببيروت مثل والده، ونبغ في طبّ العيون بعد أن تخصّص في عدد من بلدان أوروبّا وأجرى عشرات الآلاف من العمليّات الجراحيّة في مجاله، وكان له مشفى أمّه المرضى من كلّ حدب، وحقّق أعمالاً ريادية في اختصاصه تدعو إلى الإعجاب (عدّدها د. أنطاكي في الصفحة ٢٦ من الكتاب، منها أنّه كان رائد زرع القرنيّة في الشرق الأوسط والعالم العربيّ). وكان، إلى ذلك، محاضرًا وكاتبًا وباحثًا ومؤرّخًا أصدر عدّة كتب وعشرات المقالات الطبّيّة، كما أنّه عمل بنشاط في الجمعيّات المدنيّة والخيريّة، وأحبّ الموسيقى وأجاد العزف على الكمان، وأتقن فنّ الرسم مشاركًا في معارض كثيرة.

نشكر الدكتور أنطاكي لأنّه قدّم لمجتمعنا، ولا سيّما للأجيال الصاعدة، سيرة هذا الإنسان الكبير الذي جمع المجد من طرفيه في شخصه، وشرّف المدينة التي احتضنته وكذلك الشعب الأبيّ الذي أنجبه. وتشاء المصادفات أنّنا تطرّقنا في هذا العدد بالذات من المشرق إلى سيرة علم أرمنيّ آخر هو المهندس النابغة مرديروس ألطونيان (١٨٨٩-١٩٥٨)، كما سبق أن ذكرنا في مطلع السنة الماضية (المشرق ٢٠٠٢، ص ٢٦١) كتاب ترجمة الشخصيّة الأرمنيّة الفذّة كالوست غولبنكيان.

أ. ك. حشيمه

وجه من رهبانيّتي
حياة الأمّ إستيفاني بطبوطة
تأليف الأخت سيلين غوش
منشورات راهبات الورديّة، بيروت، ٢٠٠٢، ٢٤٠ صفحة

التاريخ برجاله قبل أن يكون بأحداثه، لا بل إنّه بنسائه أيضًا. إذ قلّما يتنبه المؤرّخون إلى ما للمرأة من دور بارز في مسيرة البشريّة. وكتاب الأخت الراهبة سيلين غوش يقدّم، من هذا القبيل، خدمة جُلّى تُشكر عليها. فقد تُيِّض للمؤلّفة، بحكم عملها، أن تعرف صاحبة السيرة عن كثب، فجاء كتابها غنيًّا بالوقائع الملموسة والشهادات الحيّة.

والأمّ إستيفاني بطبوطة (١٨٨٤-١٩٧٨) من الشخصيّات المرموقة في رهبانيّتها، جمعيّة الورديّة التي أسّسها في فلسطين، العامّ ١٨٨٥، الخوري يوسف طنّوس يعّين بمؤازرة الأمّ ماري ألفونسين دانيل. عُرفت بنشاطها وغيرتها في خدمة النشء بالمدارس، والمحتاجين إبّان المحن والحروب، وأحسنت العلاقة بالكبير والصغير، والرفيع المرتبة والوضيع. وكانت مثالًا يحتذى بروحها الرهبانيّة وتقواها.

تُشكر مؤلّفة الكتاب لإبرازها مثل هذه الشخصيّة إلى النور، مستندةً إلى الوثائق الوافرة، والشهادات الحيّة، ومراسلات الأمّ إستيفاني، بالإضافة إلى الصور الشمسيّة المعبّرة. وما يلفت الانتباه أنّ من بين المراجع المعتمدة لتأريخ سيرة الأمّ بطبوطة، خطبًا وقصائدَ للأديب إلياس طعمه، المعروف بـ «أبي الفضل الوليد»، وهو من بلدة «القرنة الحمراء» اللبنانيّة التي خدمت فيها الأمّ إستيفاني، وقد اعتنق الإسلام، ومن، إلى ذلك، صاحب كتاب أسماء الوردة القدسيّة أو تاريخ القنّاة مريم دانيل، ١٩٣٥ - وهو سيرة الأمّ ماري ألفونسين «مؤسّسة» راهبات الورديّة -.

ختامًا، لا بدّ من الإشارة إلى أنّ مثل تلك الأبحاث التاريخيّة الموثّقة، خير معين لحفظ تاريخ الكنيسة والبلاد وتدوينه ووضعه في متناول أبناء الوطن وخدمتهم.

الأب ك. حشيمه

La faculté d'empêcher du chef de l'Etat
en droit comparé.
Droit du chef de l'Etat de s'opposer aux lois
par Joy Tabet
Editions L. G. D. J. (Paris), Bruylant (Bruxelles) et Delta (Liban),
2001, LVIII + 698 pages

حقّ رئيس الدولة في نقض القوانين
أو طلب إعادة النظر فيها
في القانون المقارن
تأليف السفير الدكتور جوي تابت

إنّه كتاب حجّة، ثمرة سنوات طويلة من البحث المضني والخبرة الواسعة المتعدّدة الجوانب، أصدرتْه ثلاث دور نشر مجتمعة بعد أن نال من خلاله السفير المحامي جوي تابت درجة الدكتورا في الحقوق من جامعة پواتيه (Poitiers) الفرنسيّة بامتياز. وموضوع الأطروحة لم يكن بغريب عن اهتمامات السفير تابت، إذ إنّه تولّى مدّةً غيرَ قصيرة منصب المستشار القانونيّ في مجلس النوّاب اللبنانيّ إلى جانب تدريسه القانون الدستوريّ – العامّ، واللبنانيّ، والخاصّ بالبلدان العربيّة والمتوسّطيّة – في جامعتَي الروح القدس بالكسليك، والحكمة ببيروت.

وتكمن أهمّيّة الكتاب في أنّه يعالج موضوعه بدراسة مقارَنة معمّقة شملت لا أقلّ من مائة دولة من دول العالم، ما يوفّر للباحثين وثائق ثمينة ومواد نادرة تسهّل عليهم العمل. كما أنّ الموضوع نفسه من الموضوعات الحسّاسة، إذ إنّه يدرس ما لرئيس الدولة، في أعرق الدول وسوخًا في الديمقراطيّة، من حقّ يبدو لأوّل وهلةٍ مناقضًا لتلك الديمقراطيّة وأثرًا من مخلّفات عهود الاستبداد. إلّا أنّ استمراره في معظم بلدان العالم لدلالة على ضرورته الشيّقة لحفظ التوازن بين السلطتين التشريعيّة والتنفيذيّة.

ومن حسنات كتاب الدكتور تابت أنّه وضع، في بدايات الكتاب، دراسة مستفيضة (٤٢ صفحة) عن مدرسة الحقوق في بيريت (بيروت) التي لمع نجمها في العالم القديم أجمع بين العامَين ٢٥٠م–٥٥١م. وقد سعى من خلال تلك الدراسة إلى إبراز دور العاصمة اللبنانيّة في الماضي كما هو الآن في الحاضر، ملتقى لحوار الثقافات، لا سيّما والبلد مستقبل عمّا قريب بين ظهرانيه القمّة الفرنكوفونيّة التاسعة. وإذ نأتي على ذكر الفرنكوفونيّة، نشير إلى لغة الكتاب التي جاءت ناصعة العبارة، رفيعة المستوى، تشرّف ثقافة صاحبها. كما يشرّفه عرفانه بجميل أساتذته ومربّيه في الجامعة اليسوعيّة وقد ذكر أهمّهم بعاطفة صادقة.

يمثّل هذا الكتاب تاجَ بيروت تقليدها العريق في خدمة الحقوق العالميّة، فسقيًا لتربتها المعطاء.

أ. كميل حشيمه

Pluralism & Democracy,
Edited by Georges Mghames and Akl Kairouz
Notre Dame University Press, Lebanon, 2001, 264 pages

التعدّديّة والديمقراطيّة

تحرير جورج مغامس وعقل كيروز

منشورات جامعة سيّدة اللويزة، لبنان، ٢٠٠١، ٢٦٤ صفحة

يضمّ هذا الكتاب المداخلات التي قُدّمت في المؤتمر الذي نظّمته جامعة سيّدة اللويزة، بالتعاون مع مؤسّسة ألفرد وجاك متّى، في ١ و٢ حزيران ٢٠٠١، بعنوان «التعدّديّة والديمقراطيّة». بلغ عدد المداخلات أربعًا وعشرين، منها ثمانٍ باللغة العربيّة، والباقي بالفرنسيّة والإنكليزيّة.

أمّا المشاركون في الكلام، وهم من اللبنانيّين والعرب والأوروبّيّين والأمريكيّين، فكان منهم السياسيّ والاختصاصيّ بالعلوم السياسيّة والإداريّة والدبلوماسيّة والقانونيّة والعلاقات الدوليّة والاجتماعيّة والإنسانيّة والتربية والفقه الإسلاميّ. فكان من البديهيّ أن يُنظر إلى الموضوع من زوايا متعدّدة مختلفة، وفي ضوء أكثر من وضع في العالم. فتمّ استعراض التعدّديّة الدينيّة والتربية في بريطانيا، انطلاقًا من مشكلات المجتمع البريطانيّ المتزايدة، مثل العنصريّة المؤسّساتيّة والشخصيّة. كما جرى الكلام على التعدّديّة في البوسنة والهرسك ومسألة إشراك المجموعات المختلفة فيهما في السلطة السياسيّة، وعلى نظام الأحزاب في بلجيكا، الذي انتقل من تعدّديّة مقيّدة إلى تعدّديّة مطلقة. ودار الكلام أيضًا على مسألة التعدّديّة والتوافق في ديمقراطيّات وسط أوروبّا الشرقيّة الجديدة، وعلى الديمقراطيّة وتحدّيات التعدّد الثقافيّ في الولايات المتّحدة.

وتمّ التركيز في باقي المداخلات على علاقات العالم العربيّ والغرب والعولمة، ومشكلات التعدّديّة والديمقراطيّة في لبنان والشرق العربيّ عمومًا. وعولجت في هذا الإطار موضوعات كانت مثار جدل طويل في لبنان، مثل العلمانيّة والنظام الفدراليّ والانتماء الوطنيّ والعربيّ. كما نُظر إلى موضوع التعدّديّة من زاوية تربويّة واقتصاديّة.

أمّا توصيات المؤتمر، فكانت لبنانيّة صرف. فمن المطالبة بإنجاز الإصلاحات الإداريّة وتطبيق اللامركزيّة عملًا بأحكام وثيقة الطائف، إلى المطالبة بتوسيع صلاحيّات البلديّات ووضع قانون انتخابات يضمن التمثيل الطائفيّ الصحيح، إلى وضع مشروع تربويّ حديث يؤمّن الانصهار الوطنيّ، إلى المطالبة بتحديد موعد بدء حوار لبنانيّ حقيقيّ، إلى غير ذلك من توصيات ومطالب هدفها تعزيز السلم الأهليّ وتوطيد الاستقلال وتحقيق مجتمع المؤسّسات والعدالة والمساواة.

لا شكّ في أنّ صفحات هذا الكتاب تتضمّن مداخلات علميّة وجدّيّة من شأنها أن تساعد على فهم مسألة التعدّديّة والديموقراطيّة في لبنان والعالم العربيّ، لا انطلاقًا من الواقع اللبنانيّ والشرقيّ وحسب، بل في ضوء خبرات تجري في الغرب وأمريكا أيضًا.

أ. ص. أبو جوده

Making Democracy
in the French Revolution
by James Livesey
Harvard University Press, Cambridge, Mass. 1991, 326 pages

صُنْع الديمقراطيّة في أثناء الثورة الفرنسيّة

مؤلّف الكتاب، جيمس لايڤزي، محاضر في التاريخ المعاصر بجامعة تريستي – دَبْلِن، إيرلندا. تكمن أهمّيّة مصنَّفه في أنّه يركّز على دور الثورة الفرنسيّة المميَّز، إبّان السنوات ١٧٩٥-١٧٩٩، في رسم طبيعة سياسة أوروبّا الحديثة وحياتها الاجتماعيّة. وهو بذلك يعارض موقف مؤرّخين كبيرين. وأطروحة لايڤزي أنّ نموذج الديمقراطيّة الأوروبيّة صُنِع إبّان الثورة، صنعه فاعلون يُمكن تحديدهم، حاولوا، بعد نحو ستّ سنوات من اندلاع ذلك الإعصار وما واكبه من فظاعات إبّان مرحلة إرهاب الجاكوبيّين، إعادة التفكير في نظريّة الثورة وأوجدوا «خطابًا ديمقراطيًّا» جديدًا تعدّى المظاهر السياسيّة المحض، ليعبّر عن التطلّعات الديمقراطيّة بالعمق، ويرسي قواعد راسخة للحياة الاجتماعيّة والاقتصاديّة والثقافيّة.

الأب كميل حشيمه

١ – علم العروض، تفعيلات جديدة

٢ – القواعد العربيّة. منهجيّة جديدة

تأليف المطران غريغوار حدّاد

دار مختارات، الزلقا (لبنان)، ٢٠٠١، ١١٢ و٢٣٦ صفحة

«في البدء كان الكلمة»، والمطران غريغوار حدّاد، إلى جانب نشاطه اللاهوتيّ والاجتماعيّ، وعنوانه الذي لا يفتر، لم ينسَ أن يغوص أيضًا على علوم اللغة، وبالأحرى علوم اللغة العربيّة منذ أن كان أستاذًا يدرِّسها. والاهتمام، لا بل الشغف بالكلمة، يقود الباحث إلى معرفة دقائقها وتكوينها، وبالتالي إلى إتحاف المكتبة اللغويّة العربيّة بهذين المؤلَّفين:

– الأوّل علم العروض، وهو علم صياغة الكلام المنظوم، أو الموزون، المسمّى شعرًا، وقد أراد الكاتب أن يضع بين أيدي الطلّاب والعلماء على حدٍّ سواء طريقة جديدة مبسّطة لعلم نظم الكلام، فصاغها منذ السنة ١٩٧٥، انطلاقًا من معرفته بصعوبة قواعد النظم التقليديّة التي وضعها العروضيّون القدماء، إلى جانب الكثير من الاستثناءات، «فأصبح علم نظم الشعر العربيّ صعبًا، مستهجنًا لدى الكثيرين» (ص ٧). ويقدّم المطران حدّاد طريقته الجديدة (ص ١١ إلى ١٥) بصورة مختصرة فيفضي إلى القول إنّ طريقته «تختصر قواعد العروض الكثيرة والمعقّدة إلى ثلاث قواعد للوزن، والنغم الداخليّ»، وقد

طبّق عليها جميع أنواع الشعر، فبيّن أنّها كافية لمعرفة الوزن ولإتقان النظم. والطريقة تنزم على ثلاثة مفاصل: قواعد النظم، قواعد القافية وجوازاتها وما يجوز للشاعر دون الناثر.

– والكتاب الثاني هو القواعد العربيّة، منهجيّة جديدة، أراد الكاتب بواسطته أن يسهّل تعليم قواعد العربيّة وتبسيطها، وهو يقع في بابين: الصرف والنحو. وكلّ باب له ثلاثة أجزاء، من الأفعال إلى الأسماء فالأحرف. وقد ركّز المؤلّف على القراءة والاستظهار مع القليل من القواعد في مرحلة أولى، ثمّ أعطى ما هو لازم من القواعد للمرحلة اللاحقة. ويهدف الكتاب إلى تسهيل تعلّم العربيّة لمَن فاتهم تعلّمها في حداثتهم، فاعتمد التلخيص وأكثر الشواهد، بدون المرور بالتدرّج الذي يرافق التلامذة بحسب سنّهم. وأثبت ملحقًا في آخر كلّ فصل يأخذ بعين الاعتبار رغبة بعضهم في تحصيل الثقافة الإضافيّة.

الأب سليم دكّاش

مختارات من آثار أحمد فارس الشدياق

باعتناء د. يوسف قزما خوري وإشراف د. يوسف حسين إيش

المؤسّسة الشرقيّة للنشر والطباعة، بيروت، ٢٠٠١، ٥١٠ صفحات، تجليد فنّيّ

أراد السيّدان جورج وجبرائيل أبو عضل وشقيقتهما السيّدة كلير إحياء ذكرى والدتهم سليلة أسرة الشدياق، فرعوا مشروع هذا الكتاب، وعهدوا في نشره إلى خير مَن يقوم به، الدكتور يوسف قزما خوري الباحث البيليوغرافيّ المعروف، والأستاذ الأديب الدكتور يوسف حسين إيش، ورافقت عملهما لجنة استشاريّة من شخصيّات ثقافيّة وجامعيّة معروفة كالأستاذ غسّان تويني والدكتورين شبلي الملّاط ومارون يوسف يزبك.

من حسنات الكتاب الكثيرة، أنّه، وإن لم يأتِ بدراسة جديدة عن الشدياق، إلّا أنّه وفّر مجموعةً من المختارات وافية شافية تناولت أهمّ الموضوعات التي عالجها أحمد فارس، ورتّبها وبوّبها على أوضح وجه. فتالت النصوص تُظهر الشدياق المصلح الاجتماعيّ، فالشدياق في نظرته إلى المرأة، وفي معاركه الصحافيّة، وآرائه اللغويّة، وشعره، ورحلاته، ورسائله. وتقدّم الجامع لمختاراته بتعريف الشدياق من خلال ما كتبه عنه ثلاثة من أدباء النهضة السابقة واللاحقة، هم طنّوس الشدياق وبولس مسعد ومارون عبّود. وبعد المختارات، خُصّصت بعض الفصول القصيرة بأمور طالما شغلت بال الدارسين، منها: «على أيّ دين مات أحمد فارس؟» بقلم المؤرّخ المرحوم يوسف إبراهيم يزبك، و«هل ارتدّ أحمد فارس؟ لا» بقلم مارون عبّود، و«حكاية بويبل الشدياق» لمارون عبّود أيضًا، وفصلان في مناظرات الشدياق اللغويّة مع إبراهيم اليازجيّ والمعلّم سعيد الشرتونيّ. وينهي المصنّف بثلاثة جداول، أوّلها للمصادر التي اعتمد عليها الشدياق، والثاني لآثاره المطبوعة، والأخير للمصادر التي تناولته بالبحث.

ممّا سبق تظهر أهمّيّة هذا المصنّف: فإنّه يقدّم إلى المثقّفين، بل إلى الدارسين وطالبي الأبحاث المعمّقة موادّ غنيّة مكتملة توفّر لهم عناء التنقيب، وتشمل في مجلّد واحد مختصرًا

مفيدًا للكثير ممّا يمتّ إلى معرفة الشدياق.

وإذ نثني جزيل الثناء على همّة الناشرين والمعدّين، نشير إلى أنّه كان من الأفضل، في إخراج المجلدات الثلاثة المذكورة أن تُميَّز عناوين الكتب بحرف مختلف عن أسماء مؤلّفيها، وذلك لمزيد من الوضوح.

كما نسوق لفائدة الباحثين، بعض عناوين إضافيّة لدراسات تناولت الشدياق، من أهمّها على السبيل المثال لا الحصر:

- بالعربيّة: في المعجميّة العربيّة المعاصرة (وقائع ندوة مانوبة أحمد فارس الشدياق وبطرس البستانيّ ورينحارت دُوزي)، تونس، ١٩٨٧؛ محمّد الهادي المطويّ: أحمد فارس الشدياق (١٨٠١-١٨٨٧)، حياته وآثاره وآراؤه في النهضة العربيّة الحديثة، بيروت، ١٩٨٩؛ شربل داغر: «الشدياق/الفارياق: العربيّة والتمدّن»، ضمن كتاب العربيّة في لبنان، جامعة البلمند، ١٩٩٨، ص ٨٩-١٤٨؛ شفيق جبري: أفكاري، المجلّد ٣، دمشق، ١٩٩٩، ص ١٥٠-١٥٦، ٢٥٤-٢٥٨، ٢٨٥-٢٩٣؛ بالإضافة إلى مقالات في عدد من الدوريّات: الهلال، ٢ (١٨٩٣): ٤١٧-٤٢٤ و٤٥٣-٤٥٦؛ الكتاب، القاهرة، ١٩٤٦، مجلّد ٢: ٥٨٧-٦٠٦.

بالإنكليزيّة: Peled (M.): «Al-Sāq 'alā al- Sāq, a generic definition», in *Arabica*, Paris, XXXII (1985), p. 31-46; و Jubran (S.): «The function of rhyming prose in *Al-Sāq 'alā al-Sāq*», in *Journal of Arabic Literature*, XX (1989), p 148-158.

كما نشير إلى أنّ الساق على الساق نُقل إلى الفرنسيّة، نَقَلَه الأديب الحلبيّ الأصل رينه خوّام (René Khawam).

أ. كميل حشيمه

أديب مظهر رائد الرمزيّة في الشعر العربيّ
تأليف الدكتور ربيعة أبي فاضل
بيروت، ٢٠٠٢، ٢٥٤ صفحة

كان لا بدّ من تسليط الأضواء على أديب مظهر، هذا الأديب الشاعر الفذّ، ابن المحيدثة (بكفيّا)، الذي توفّي بظروف غامضة العامّ ١٩٢٨ ولم يتجاوز الثلاثين. كان «طائرًا يحبّ النسيم الأسود، والنغم القاتم، ومخلب الموت، والنور الذي لا يُرى، ويحبّ الإنسانيّة والخير، والقوّة، واللطف». وهذا الرجل المثقّف الرهيف الأحاسيس ترك وراءه تيّارًا شعريًّا رصاصة إبداعيّة وعلامات استفهام، إذ كان إنسانًا مختلفًا، خلّاقًا، لم تسعفه الكلمة على قول كلّ شيء، ولم يعطه الزمن فرصة تفجير طرته الخصبة بكلّ أبعادها.

ليس الدكتور ربيعة أبي فاضل أوّل مَن انتبه إلى أديب مظهر وعطائه الأدبيّ، فقد سبقه إلى ذلك، كما يعترف به هو نفسه، جوزف باسيلا في مجلّة المكشوف، وإيليّا حاوي في

مجلّة شعر، وسواهما، كالدكتور ميشال جحا وإبراهيم الخوري... إلّا أنّه كان صاحب الفضل في درس أديب مظهر دراسةً مستفيضة تناولته في جميع أبعاده، في جذوره وطفولته، وطموحاته، ثقافته، ونضاله الوطنيّ، وعلاقته بالمرأة، وموته. كما عالجت أدبه بتناجه وما تأثّر به وما أثّر فيه، وأسلوبه وعلاقته بالرمزيّة والرمزيّين. أضف إلى ذلك ما خلّفه من رسائل تدور في دائرة الحبّ. وقد برهن ربيعة أبي فاضل عن شعور أدبيّ مرهف وروح نقديّة دقيقة تستند إلى ثقافة متوازنة ورسيع اطّلاع. وفي آخر كتابه عدّة ملاحق وفهارس تجعله، مع ما سبق من صفات، مرجعًا لا بدّ منه لكلّ مَن يبغي دراسة أديب مظهر بخاصّة، والرمزيّة في الأدب العربيّ بعامّة.

ملاحظة في الأخير: سقط سهوًا خطأ طباعيّ في الصفحات ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٨، ١٣٦، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠، ١٨٣، إذ حلّ الحرفان op بدل الحرفين of، ما لا يخفى على المختصّين.

أ. ك. حشيمه

أناس بلا طفولة

تأليف أترانيك زاروكيان

ترجمة هراج ساهاكيان

بيروت، ١٩٨٧، ١٨٨ صفحة

أترانيك زاروكيان أديب أرمنيّ تيتّم في الثانية من عمره، العام ١٩١٥، بعد أن قُتل والده في أثناء مذابح أبناء قومه، وهُجّر مع والدته فوصل إلى حلب، وعاش صباه فيها نزيل دور الأيتام. وانتقل بعد ذلك إلى بيروت حيث تابع دروسه. وامتهن الصحافة والأدب، فرأس تحرير جريدة أريفيلك في حلب وأنشأ بتلك المدينة مجلّة الأدبيّة تاييري التي ظلّت تصدر أربعين عامًا. ومن بين كتبه العشرة التي وضعها، ديوان شعر بعنوان الأشرعة (١٩٣٩) وملحمة أسماها رسالة إلى يريفان (١٩٤٥)، ورواية أناس بلا طفولة موضوع هذا التعريف.

تحكي تلك الصفحات حوادث الطفولة التي أمضاها زاروكيان في ميتم حلب، مع ما واكبها من بؤس وحرمان وألم، فجاءت لوحات تنبض بالحياة والواقعيّة ودقيق المشاهدة وعمق الغوص على مكامن النفوس. إنّها صرخة وجع مبرّح أطلقها مَن استعاد ذكريات طفولته وطفولة رفاق له صغار ما عرفوا الطفولة حقًّا، فعاشوا وهمّهم البقاء، بين قساوة بعض حرّاسهم ورقّة بعضهم الآخر، يتحايلون على أوضاعهم المخزية حتّى استقامت لهم إلى حدّ ما بعد حين.

كتاب زاروكيان تحفة أدبيّة تنبض بالإنسانيّة، وقد لاقت رواجًا في غير بلد وتُرجمت إلى الروسيّة (١٩٦٤) والفرنسيّة (١٩٧٧) والإنكليزيّة (١٩٨٥). وكان لا بدّ من ترجمة عربيّة ليطّلع أبناء سورية ولبنان، حيث عاش زاروكيان وأزهر، على تلك المأثرة، فتطوّع المترجم

الشابّ هراج ساهاكيان لهذه المهمّة. إلّا أنّه، على الرغم من نجاحه في بعض الصفحات، فقد تعثّر قلمه في كثير من الأحيان، وشوّهت نصّه أغلاط لغويّة غير قليلة لا تخلو صفحة واحدة منها. من ذلك: «مُنِيُوا» بفشل ذريع (ص ٧) والصحيح «مُنُوا»؛ «تَنَتَّتُ أن «أعطي له» رغيفي (ص ٢٧) والصحيح: أن «أعطيه»؛ وكان الشيطان «قابع» في الزاوية، بدلًا من «قابعًا» (ص ٤١)؛ وما «أن» ألقى نظرة «على» أحذيتنا (ص ٨٩)، والصحيح: ما «إن» ألقى نظرة «إلى»؛ عقدت ربطتي الحذاء «إلى بعضهما البعض» (٨٩) في حين يُقال «بعضَهما إلى بعض»؛ إضافة «على» ذلك (١٠١)، والصحيح «إلى» ذلك؛ بهجةُ الرحيل وسِحر الأماكن «أنسوا» خاجيك رغبته «بشأن»... (١٤٧)، في حين المطلوب هو: «أنسيا»... رغبته «في» شأن؛ كلّما تأخّر القطار «كلّما» تمتّعنا (١٥٠)، والصحيح: كلّما تأخّر القطار تمتّعنا (= بدون تكرار «كلّما»)؛ كنت أفكّر «عن» الحياة (ص ١٨٤)، بدلًا من أفكّر «في» الحياة. وإذ نكتفي بهذا العدد القليل من الأمثلة، نأمل أن يعيد صاحب الترجمة النظر في نصّه ليتألّق على نحو ما تستحقّه رواية زاووكيان الرائعة.

أ. كميل حشيمه

L'Académie Française et le Liban
par Hyam Mallat
Editions Dar An-Nahar, Beyrouth, 2001, 344 pages

الأكاديميا الفرنسيّة ولبنان
تأليف وتقديم: هيام ملّاط

الأستاذ الأديب والمؤرّخ هيام ملّاط هو من الباحثين في العلاقات الثقافيّة بين لبنان وفرنسا، وله في هذا المجال أكثر من كتاب ومقال. وفي المؤلَّف الموسوعة هذا حول علاقة الأكاديميّين الفرنسيّين بلبنان، يقول ملّاط في المقدّمة: «إنّ القدر قام بدوره عندما دفع كبار الكتّاب الفرنسيّين بين القرن الثامن عشر والقرن العشرين للاهتمام بلبنان، فهم غالبًا ما اندفعوا إلى إعلان مواقف علنيّة نحوه بحيث انطبعت أعمالهم بطابع عميق الأثر، وفي بعض الأحيان، بطابع له معناه القويّ» (ص ٧). ويختار المؤلّف بعض الأسماء اللامعة التي لبست قبّعة الأكاديميّين وزارت الديار اللبنانيّة وكتبت في أدب الرحلات:

– فولني نشر فعاليّات رحلته في سوريا ولبنان ومصر، فتذكّر كم أنّ تأثير الحرّيّة، ولو بنسبة خفيفة، هو قويّ على الحياة الاجتماعيّة والسياسيّة في البلاد التي زارها، وكم أنّ النظام السياسيّ يتغيّر بمقدار فسحة الحرّيّة. وكتاب فولني كان مرجع الجنرال بونابرت في أثناء غزوه بلاد الشرق.

– لامارتين وصل إلى بيروت في أيلول ١٨٣٢ فكتب الرحلة إلى الشرق، ووصف الطبيعة فيه بأوصاف عميقة المعاني، رومانسيّة المشاعر، بوجه لا يُنسى، وعانق أرز لبنان معانقة القدّيسين صورة المحبوب.

- أمّا إرنست رينان، فإنّه كان من الوجوه البارزة التي زارت لبنان، حيث سكن زهاء سنة من الزمن غارقًا في الحفريّات والتاريخ، منقّبًا باحثًا.

- وأسماء أخرى، مثل موريس بارّيس، بيار لوتي، وجورج دوهاميل وغيرهم، فإنّهم أبدعوا في تأمّلاتهم وأفكارهم وأبحاثهم، بحيث جاءت لغتهم غاية في الجمال والدقّة، وكانوا إلى جانب العشرات من الأكاديميّين الذين كتبوا في لبنان مُلْهَمين مُبْدِعين.

والمختارات التي نشرها ملّاط في مصنّفه لسبعة وأربعين من الكتّاب، لا شكّ في أنّها كانت حصيلة سنوات من التنقيب والدراسة والقراءة؛ وهي تظهر، بوجه من الوجوه، خصوصيّة التراث اللبنانيّة، المنفتحة على الثقافة الفرنسيّة؛ خصوصيّة الوطن الذي تشكّله جماعات ميّزتها التسميات، إلّا أنّها ترسّخت فيه كيانًا موحّدًا لها.

الأبّ سليم دكّاش

١ - إعترافات... ومشاكسات

تأليف الأب حليم عبدالله

منشورات المكتبة البولسيّة، جونيه وبيروت، ٢٠٠١، ١٩٢ صفحة

٢ - صوتٌ... صامت

تأليف الأب حليم عبدالله

مطبعة عمشيت، ٢٠٠٢، ١٨٢ صفحة

صدق القول الفرنسيّ المأثور: Le style c'est l'homme، أو ما نعبّر عنه بالصيغة العربيّة: المرء بأسلوبه. أجل، تسطع لنا صحّة هذه المقولة إذا ما طالعنا مؤلّفَي الأب حليم عبدالله الأخيرين. فإنّنا نرى من خلالهما ما طالما لمسناه في جميع كتبه، سواء المنقولة منها أم الموضوعة. ولقد سبق أن أبدينا رأينا في بعضها (المشرق ١٩٩٣، ص ٢٧٧، حول كتابه مختلف... فيك ائتلافي، والمشرق ١٩٩٤، ص ٢٧٢، حول ترجمته كتاب جان ڤانيه الجماعة صفح وعيد)، وهذا الرأي ينسحب على سائر ما صدر بقلم حضرته، منذ مطلع الثمانينيّات من القرن الماضي لنا نشر ما لم يُكتَب بعد عن الحرب في لبنان (١٩٨٠)، وكبار وصغار (١٩٨٢)، وترجمت كتبًا لمؤسّس جمعيّة كهنة البرادُو أنطوان شغريه أو الكاهن الرومانيّ فيرجيل جورجيو. ففي جميع تلك المصنّفات لا ينفكّ حليم عبدالله يسير في اتّجاه واضح المعالم لا يحيد عنه: طريق التزام قضايا الإنسان بصدق وعفويّة وبروح مسيحيّة واقعيّة بعيدة عن النظريّات، إن هي انطلقت من ركائز لاهوتيّة وروحيّة فلتجسّدها وتوظّفها في خدمة الناس وحياتهم اليوميّة، مع التفاتة خاصّة إلى المعذّبين والمحرومين والذين يحيون عن الحقيقة المحرُّرة. أضف إلى ذلك أسلوبًا رشيقًا لاذعًا تخفّف من حدّته فكاهة محبّبة. لكأنّ هذا الأسلوبَ مِلحُ كُتُب الحليم، إن هو لاذع الطعم لاسيّما أحيانًا، فلأنّه بتلك اللسعة يُصلح الطعام ويؤتيه طيّب المذاق.

والجدير بالذكر أنّك، ولئن وجدت في الكتابين الأخيرين الروح نَفْسها، والنَفَسَ ذاته الذي تلمسه في ما سبقهما، فهذا لا يضيرك لأنّ الأمثلة تتبدّل وتتنوّع، والأسلوب يتكيّف بحسب الموضوع الخاصّ بكلّ كتاب.

إعترافات... ومشاكسات هو مجموعة من التأمّلات دوّنها الأب عبدالله على مدى نحو عشرين سنة، وراح يبثّ فيها لواعج قلبه، يخاطب الله، يخاطب نفسه بل يحاسبها غير مُهادِن، كما يحاسب المؤسّسة الكنسيّة التي ينتمي إليها ويحبّها، وإن هو عاتبها فلأنّه يريدها بدون غضن ولا عيب. لذا تراه لا يخشى السير عكس التيّارات المعهودة، مستندًا إلى سلوك المعلّم الذي لم يتوانَ عن تشكيك المتزمّتين الذين سخّروا الدين والله لمآربهم. ولذا عَدّ الحليم نفسه مشاكسًا، ولا حرج عليه لأنّ الحِلم لا يتنافى والمشاكسة في سبيل الحقّ. ويلفت النظر أنّ هذا الكاهن لا يستكف، لإبلاغ رسالته، من اللجوء إلى كلماتٍ قويّة الوقع غير مألوفة في معجم المرهفين، فتراه يثور على مَن «يَسْتَكْرِدُنا» أو «يَسْتَحمرنا»، أو مَن، إذا طُلب إليه أن «يسْلنا»، «يمثّل علينا»! إنّه بالحقيقة أسلوب يحكي ما يدور أمام الكاتب من صراع بين روح العالم وروح الله، روح العالم الذي هو فيه ولكنّه ليس منه.

أمّا صوتٌ... صامت، فهو مجموعة مقالات وعظات كان يحرّرها عبدالله بحكم رسالته مرشدًا روحيًا في ثانويّات خاصّة بمدينة جبيل، فجاءت في كتابه مرتّبةً بتسلسل السنة الطقسيّة ومن وحيها، تنطلق من الحدث الإنجيليّ وتُطبّق على واقع المربّين وأولياء أمر الطلبة. ونبرة الكاتب هي هي، صادقة، واقعيّة، تصيب الأوتار الحسّاسة، وجلُّ همّها أن تدفع القارئ أو المستمع إلى أن يعي رسالته ويكون من الشهود. «صوتٌ صامت»، هذا العنوان أراده الحليم لأنّه خَبِرَ أهمّيّة الابتعاد عن «التطبيل والتزمير» والمظاهر التي طالما تعكّر صفو حقيقتنا. ولكنّنا في النهاية يمكننا القول بأنّ ما كتبه هو «صمت صانت»، صمتٌ مدوٍّ، هنيئًا لمَن له أذنان فيسمعه.

أ. ك. حشيمه

من أجل كلمتك

تأليف الأب لاسلو صابو اليسوعيّ

سلسلة «دراسات بيبليّة»، منشورات الرابطة الكتابيّة، بيروت، ٢٠٠١، ٢٦٢ صفحة

أرادت الرابطة الكتابيّة الكاثوليكيّة في الشرق الأدنى أن تلفت النظر إلى مرور خمسين سنة على رسامة الأب لاسلو صابو اليسوعيّ كاهنًا. ولهذه المناسبة، جمع الخوري بولس الفغالي وترجم إلى العربيّة عددًا من مقالات الأب المذكور صدرت بالفرنسيّة في مجلّات متخصّصة مختلفة، وأضاف إليها محاضرات افتتاحيّة ألقاها الأب صابو في «الأيّام الكتابيّة» التي تُقام كلّ سنتين في إطار نشاط الرابطة الكتابيّة.

عَبَرَ السنين الطويلة التي علّم فيها الأب صابو في جامعة القدّيس يوسف، ومعهد القدّيس بولس بحريصا، والكلّيّة الحبريّة التابعة لجامعة الروح القدس (الكسليك)، يستطيع

قرّاء هذا الكتاب أن يقدّروا مدى اطّلاع الأب المذكور على شؤون الكتاب المقدّس. وممّا تميّز به في تفاسيره وأبحاثه أنّه عرف كيف يوفّق بين معنى الأسفار المقدّسة الحرفيّ والاهتمام الشديد بمعناها الروحيّ. هذا وإنّ تطرّقه الإنسانيّ إلى قضايا زمننا يتجلّى أيضًا في العرض الأخير الذي قام به والذي صدر بعنوان: «تيّارات التحرّر اللاهوتيّة وسفر الخروج».

صدر كتابه مع مقدّمتين: واحدة للرئيس العامّ على الرهبانيّة اليسوعيّة في العالم، الأب يتر هانس كولنباخ، الذي سبق أن تلمذ للأب صابو، ومقدّمة عميد الكلّيّة الحبريّة التي ورد ذكرها، الأب توما مهنّا.

أ. صبحي حموي

Sous le signe de l'imminence:
l'Apocalypse de Jean pour penser l'histoire
Session du Centre Sèvres
sous la direction de Yves Simoens et Christophe Théobald
Médiaèvres, Paris, 2001, 190 pages

في أجواء الوشاكة: يوحنّا وسفر الرؤيا في تبصّر التاريخ

إنّ هذه المجموعة التي تضمّ عشر مساهمات مكثّفة جدًّا، ليست مجرّد مساعدة على قراءة دقيقة لآخر سِفر من أسفار الكتاب المقدّس، بل إنّها توفّر، في الوقت نفسه، عناصر لاهوت تاريخ بكلّ معنى الكلمة. بحسب مقدّمة خ. تيوبالد (Ch. Théobald)، «فإنّ الانقطاع الحاسم الذي يمثّله الإيمان بقيامة المسيح يعني، في اعتقاد الجماعات المسيحيّة الأوّل، أنّ النهاية قد حصلت. والحال أنّ التاريخ يواصل سيره...». بعبارة أخرى، يظهر الحدث الحاسم وكأنّه مقسوم إلى اثنين. فمن جهة، يشير «يوم الربّ» إلى انتصار المسيح الذي مات وقام من بين الأموات. ومن جهة أخرى، فإنّ هذا اليوم لا يزال منتظرًا بعد «ألف سنة»، بصفته تجلّيًا شاملًا لملكوت الله. ولذلك، فإنّ سفر الرؤيا يشدّد، لا على نهاية العالم، كما يظنّ بعضهم غالبًا، بل على مصير العبور التاريخيّ الذي يمتدّ بين هذين الحدثَين.

هناك سلسلة من المساهمات تتناول سفر الرؤيا في نصّه نفسه. فيقترح إ. سيمُنس (Y. Simoens) بُنيةً لكلّ السِفر، ويدرس ب. جيبر (P. Gibert) علاقات السفر بتاج المؤرّخين، وينقضّ ف. مارتي (F. Marty) البعد الخياليّ ومعناه الرمزيّ، ويفكّر إ. تورين (Y. Tourenne) في صورة «المرأة» بصفتها ترمز إلى الرمزيّة والكنيسة، ويبحث أ. بول (A. Paul) أخيرًا في العلاقات بين الليترجيّة والتاريخ. أمّا فصول سفر الرؤيا الأخيرة، التي تتحدّث عن «أورشليم السماويّة»، فإنّ إ. سيمُنس يقوم بتحليلها.

وهناك سلسلة أخرى من المساهمات، أقلّ توسُّعًا، تتناول تاريخ تفسيرات السِفر. فإنّ إ. بوسّيه (+ E. Pousset) لا يكتفي بإعادة الاعتبار إلى ما في نصوص القدّيس إيريناوس

من قوّة، بل يقترح لها قراءة حاليّة إلى أقصى حدّ. وفي ما يختصّ بالعصر الوسيط، فإنّ ف. لِكْريفان (Ph. Lécrivain) يدرس ج. دي فلور (J. de Flore) وورثة فكره. وفي إطار ما بعد الحداثة، يتوسّع ج. پولان (J. Poulin) في مأسويّة رؤية المفكّرين الذين ينتمون إلى «مدرسة فرانكفورت».

وبمثابة خاتمة لتلك المجموعة، نطالع درسًا رائعًا قام به خ. تيوبالد بعنوان «تبصُّر الله في أجواء الوشاكة»، يتقصّى فيه إحدى أجراً صِيَغ سفر الرؤيا التي تمثّل الله نفسه يَخْضَع للإنجاز. وكأنّ تيوبالد يميل إلى القول إنّ الله، بحسب ما ورد في رؤ (١٠/ ٥-٧)، ولأنّه يأتي إلينا، يدنو من إنجازه الشخصيّ في تاريخ البشريّة نفسه (ص ١٧٠). ولكي يقرّب إلينا هذه الفكرة، فإنّه يعود إلى شرح اسم الله «يهوه» في سفر الخروج (خر ٣/ ١٤)، الذي يترجَم غالبًا بعبارة أشبه باللغز: «أنا مَن أنا» أو «أنا مَن هو». إنّ الفعل المكرّر يرد هنا بالعبريّة في الصيغة نفسها. فإنّ صيغة «المضارع»، في العبريّة كما في العربيّة أيضًا، قد تعني الحاضر أو المستقبل على السواء. ولذلك فإنّ الترجمة المسكونيّة الفرنسيّة للكتاب المقدّس (باريس، ١٩٧٥) وترجمة دار المشرق العربيّة تستعملان صيغة المستقبل: «أكون مَن سأكون». وهكذا فإنّ عبارة سفر الخروج الحِكَميّة تكشف بذلك أنّ الله هو هو أبدًا، ولكنّه سيكشف لنا شيئًا فشيئًا، في سياق تاريخ الخلاص، ما هو في الحقيقة (ص ١٧١-١٧٢).

هذا ما يحملنا على التخلّي عن أنطولوجيا القدّيس أوغسطينس ومَن حذا حذوه، بما أنّ ما قلناه يُدخل زمن التاريخ في «اسم الله». وبناء على ذلك، فلسنا بعيدين عن الصيغة التي تتردّد عدّة مرّات في سِفر الرؤيا: «أنا الذي هو كائن وكان وسيأتي». فكلمة «سيأتي» هي وحي الله الجديد دائمًا أبدًا، والذي يُقيم صلته بتاريخنا الذي نعيشه. ويرى تيوبالد ممكنًا أن نُحِلّ محلّ الأنطولوجيا التقليديّة صيغة إ. يُونْغِل (E. Juengel): «إنّ كيان الله بالإتيان»، حتّى إن كان عندنا بعض التحفّظات لمثل تلك العبارة.

ومع ذلك، يبقى واضحًا أنّ رهان سفر الرؤيا النهائيّ هو إنجاز سرّ الله في حضن الخليقة وتاريخ الخلاص. فإنّ وشاكة «ما يجب أن يحصل»، وحتّى عَبرَ مِحَن تاريخنا المأسويّة، قد شجّعت المسيحيّين المضطهَدين قديمًا في آسية الصغرى، كما ستشدّد ثبات المؤمنين في جميع العصور.

الأب لاسلو صابو اليسوعيّ

كتاب العاديّات البيبليّة، منسوب إلى فيلون

تأليف الخوري بولس الفغالي

سلسلة «على هامش الكتاب»، منشورات الرابطة الكتابيّة، بيروت، ٢٠٠١، ١٩٤ صفحة

كتاب نجهل كاتبه، ولكنّه وصل إلينا في المخطوطات مع كتب فيلون، الفيلسوف الإسكندرانيّ الذي وُلد حوالى السنة ١٠ ق.م. وقد دُوّن في العبريّة أو الآراميّة، ثمّ

باليونانيّة، قبل أن يصل إلينا في اللاتينيّة، حيث نقرأه اليوم. روى تاريخ شعب إسرائيل من آدم إلى داود، ثمّ اختار أخبارًا من العهد القديم، علمًا بأنّه قرأ كلّ ذلك في إطار ملّيّته وأثار كلّ ما رواه في ضوء الوضع السياسيّ والدينيّ الذي عاش فيه.

نُسب إلى فيلون، ولكنّ الدراسات اللاحقة بيّنت أن لا علاقة له بفيلون. وإنّه يستقي عددًا من الأسفار المنحولة ويرتبط ارتباطًا وثيقًا بعالَم قمران. لكنّه يبقى كتابًا أصيلًا كُتب من أجل الشعب.

بعد مدخل، يقدّم الأب بولس الفغالي النصّ الذي قسّمه إلى فصول وآيات، ويتبعه بدراسة مدعومة بحواشٍ كثيرة، تساعد القارئ على اكتشاف هذا النصّ الذي يبتعد عنه كثيرًا في الزمان والمكان.

أ. صبحي حموي

غريب على الطريق

تأليف يحيى الساتح

منشورات دار الكلمة (وتوزيع دار الجيل)، بيروت، ٢٠٠١، ٣٨٤ صفحة

يقول المؤلّف في مقدّمة كتابه إنّه يتوجّب علينا في ظروفنا الحاليّة «أن نعرف المعتقدات التي يؤمن بها جيراننا وأن نعرف لماذا يؤمنون بها، رغم أنّنا قد لا نتّفق معهم في ذلك دائمًا، ولكنّ المجال سيكون أكثر اتّساعًا لنعيش معًا بسلام» (ص ٧). كلامٌ حقٌّ هو، فلئن كان المرء عدوٌّ ما يجهل، فهو، على العكس، صديق ما يعرف، شريطة أن تكون هذه المعرفة مصحوبة بالانفتاح واحترام معتقدات الآخرين. وقد دأبت دار الكلمة على نشر الكتب التي تسعى للهدف النبيل هذا، وصدر لها حتّى الآن شروحًا لنصوص الإنجيل والعهد القديم تراعي الذهنيّة الشرقيّة وثقافة غير المسيحيّين، أمسلمين كانوا أم يهودًا. وكتاب غريب على الطريق يندرج في إطار المؤلّفات التفسيريّة تلك، وفي عنوانه إشارة رمزيّة إلى المسيح إذ رافق التلميذين العائدين إلى بلدة عمّاوس بُعَيد القيامة، وكان لهما بمثابة الغريب، حتّى شرح لهما ما ورد في الأسفار المقدّسة فانفتحت إذ ذاك أعينهما...

حاوَلَ الكاتب، بما له من معرفة أكيدة بالديانتين الإسلاميّة والمسيحيّة، أن يفسّر تفسيرًا موضوعيًّا أهمّ ما ورد من أحداث وتعاليم في الكتاب المقدّس، ولقد وُفّق إلى ذلك. ومن حسنات مؤلّفه الأخرى وضوح العرض، والحواشي الوافية على إيجازها - علمًا أنّ المراجع إنكليزيّة وحسب -، ومعجم للمصطلحات جزيل الفائدة لا سيّما لغير المختصّين (ص ٣٦٥-٣٦٩).

أ. كميل حشيمه

رنّموا للربّ

«المزامير»

تأليف وتلحين الأب منصور لبكي

منشورات دار الكرمة، المنصورية (لبنان)، ٢٠٠٢، (١١٢ صفحة)

كان الأب منصور لبكي أوّل مَن ألّف الأغنية الدينيّة في مطلع السبعينيّات من «القرن» الماضي، وراجت آنذاك، وما زالت، رواجًا منقطع النظير، حتّى بين غير المسيحيّين أحيانًا. وظلّ حضرته يؤلّف ويلحّن وينشد، تحثّه رغبته في خدمة النفوس ورفعها إلى الأعلى وتقريبها من خالقها. وكتابه رنّموا للربّ هو آخر ما جاءت به قريحته رهنته، فلحّن عددًا من الزبور، أهمّها وأقربها إلى القلب وأوفرها تجاوبًا مع حالات المؤمنين النفسيّة. ولتسهيل الإنشاد آثر «النمط الغريغوريّ أو السريانيّ، حيث ينتهي السطر بنغم سهل هو هو بعد كلّ سطر، وتُعاد اللازمة أو الردّة ليرتّلها الشعب بأسره. فبذلك تُرتّل المزامير كأنّها تُقرأ، ولا يُضطرّ المرء، تجنّبًا للإطالة، إلى بترها أو تقصيرها كما يُصار عندما يكون المزمور ملحّنًا بكامله». ورافق كلّ مزمور تدوين لحنه، كما ورد في آخر الكتاب فهرس وزّع المزامير على أهمّ المناسبات الليتورجيّة والعاديّة. إلّا أنّه فات المؤلّف أن يرقّم صفحات الكتاب، ويا ليته فعل لتسهيل استعماله (علمًا أنّ إيراده المزامير بحسب تسلسل أرقامها يعوّض إلى حدّ ما ذلك النقص).

ونشير في هذه المناسبة إلى وجه من الشبه كبير بين كتاب المتنيور لبكي هذا وكتاب مزامير للصلاة والترنيم الذي أعدّه الأبوان صبحي حموي والأب (المطران اليوم) أنطوان أودو اليسوعيّان (دار المشرق، الطبعة الرابعة، ٢٠٠٠). وفي المصنّف الأخير جدّول أبجديّ باللازمات الملحّنة مع الإشارة، قرب كلٍّ منها، إلى واضعي ألحانها، وللأب منصور لبكي قسط منها غير قليل.

أ. كميل حشيمه

مجموعة الميامر الروحيّة

للشيخ الروحانيّ يوحنّا الدلياتي (من القرن السابع)

نقلها عن السريانيّة وقدّم لها الأب سليم دكّاش اليسوعيّ

سلسلة «التراث الروحيّ»، دار المشرق، بيروت، ٢٠٠٢، ٢٠٤ صفحات

بهذا الكتاب يتابع الأب سليم دكّاش مشروعًا باشره لمّا أصدر في العام ١٩٨٦ مجموعة الرسائل الروحيّة ليوحنّا الدلياتي، وقد لاقى رواجًا ملحوظًا لما سدّ من فراغ في معرفتنا التراث السريانيّ، الفكريّ بعامّة والروحيّ بخاصّة، وهو الآن في طبعته الثالثة.

ومجموعة «الميامر» تكمّل ما ورد في «الرسائل» من حيث إبرازها عقيدة الدلياتي النسكيّة. فرسائله، وإن اشتملت عناصر كثيرة من تعليمه الروحيّ، إلّا أنّها غالبًا ما تتناول،

في النصّ الواحد، عدّة موضوعات، بأسلوب شخصيّ، إن من جهة المتكلّم أو من جهة مَن يخاطبه مخاطبةَ الأخ والصديق. أمّا ميامره (والكلمة سريانيّة، تعني الحديث أو الخطبة أو البحث أو المقال)، فإنّه اعتمد فيها أسلوب الدراسة المركّزة في مفهوم معيّن أو موضوع محدّد كالصلاة أو المحبّة أو التجديف أو الشيطان. وما تُقدِّمه من توجيهات يتّخذ طابعًا نظاميًّا، إلّا أنّه لا يخلو من المسحة الأدبيّة الشعريّة التي تتّصف بها مؤلّفات الدلياتي.

إستند المترجم، لتحقيق النصّ، إلى عدد من المخطوطات، منها: ڤاتيكان سرياني ١٢٤ و ١٢٥، (وهذا الأخير من القرن الحادي عشر) وحلب - المكتبة المارونيّة - ٣٦١ (الترجمة العربيّة القديمة)، وهارڤرد سرياني ٣٠. وجاءت ترجمته سَلِسَة يرتاح لها القارئ جدًّا. وألحق النصوص بفهرس مفصّل بالأسماء والمصطلحات الروحيّة والعقيدية الأساسيّة، بالإضافة إلى لائحة طويلة بالمراجع العربيّة والسريانيّة واللاتينيّة والفرنسيّة والإنكليزيّة.

ولا بدّ في ختام نبذتنا هذه، من الإشارة إلى أنّ العلّامة السريانيّ الكبير ابن العبريّ استقى، في تأليفه كتابه الإيثيقون، فلسفة الآداب الخُلُقيّة، فقرات كثيرة من ميامر الدلياتي، ما يؤكّد أهمّيّة الشيخ الروحانيّ وأهمّيّة ما قام به، مشكورًا، صاحب الترجمة، على أمل أن يوفّر لنا المزيد في هذا المجال.

أ. ك. ح.

لاهوت التقليد

تأليف الأب صلاح أبو جوده اليسوعيّ

سلسلة «موسوعة المعرفة المسيحيّة»، منشورات دار المشرق، بيروت، ٢٠٠٢، ٧٥ صفحة

يحدّد الكاتب في مقدّمته أنّ التقليد هو، من جهة، قبول جيل من الأجيال مجموعةَ العقائد والمعلومات التي تتناول حياة المسيح وتعاليمه وهويّته، وهذا ما يجعله يتواصل مع الأجيال السابقة، ومن جهة أخرى، هو الطريقة التي يتمّ فيها تناقل تلك المجموعة.

ويضيف: إن أردنا أن نتوسّع في هذا التعريف الوجيز، وجب علينا أن نتفحّص المصادر الأساسيّة التي تتكلّم على يسوع المسيح من جوانب مختلفة، كتاريخ ظهورها وبيئتها ونوعها الأدبيّ وصحّتها. وفي الوقت نفسه، يرى المؤلّف أنّه من واجبنا أن نتطرّق إلى إيمانِ حيّ يعيشه المؤمنون في ظروف متغيّرة. فلا يمكن الاكتفاء بعملٍ علميّ تاريخيّ صرف، بل لا بدّ من التوقّف على المعاني اللاهوتيّة التي أُضيفت إلى تلك المصادر، لا سيّما في ضوء التطوّرات التي عرفتها كنيسة المسيح.

بناءً على ذلك، يقسّم الكاتب دراسته إلى أربعة أقسام يبحث فيها: التقليد في الكتاب المقدّس، والتقليد عند آباء الكنيسة، وفي الكنيسة البيزنطيّة، وفي المجامع المسكونيّة، ابتداءً من المجمع الترينتينيّ حتّى المجمع الڤاتيكانيّ الثاني.

من فوائد هذا الكتاب، الذي يبحث في موضوعٍ من أهمّ موضوعات اللاهوت

المسيحيّ، أنّه يوجز لنا، في عدد قليل من الصفحات، موادّ غزيرةً استقاها من مصادر ضخمة وُضعت في اللغة العربيّة واللغات الأجنبيّة، يستشهد بها في متن النصوص وفي الحواشي. فلا عجب أن نلفت النظر إلى أهمّيّة درس التقليد وإلى حسنات الدراسة التي قام بها الكاتب.

أ. ص. حموي

طريق الكمال

تأليف القدّيسة تريزا الآفيليّة

نقله عن الإسبانيّة أنطوان سعيد خاطر

سلسلة «تراث الكرمل»، ٤، بيروت، ٢٠٠١، ٣٢٠ صفحة

ما زالت الرهبانيّة الكرمليّة الفاضلة تنشر لفائدة قرّاء العربيّة روائع تراثها الروحيّ، كمثل مؤلّفات تريز الطفل يسوع ويوحنّا الصليب وتريزا الآفيليّة، بالإضافة إلى دراسات كثيرة في هذا الموضوع (أطلب المشرق، ٧٢ - ١٩٩٨ -: ص ٢٨٩-٢٩١). ومع كتاب طريق الكمال، تُطلّ علينا تريزا الآفيليّة برائعة أخرى من ثمار خبرتها الروحيّة، على نحو ما أتحفتنا بكتبها السابقة: كتاب السيرة (نقله أنطوان سعيد خاطر، ١٩٨٦) والمنازل (نقله خاطر أيضًا، ١٩٩١)، إلخ... والأستاذ خاطر طويل الباع في اللغة الإسبانيّة وأدبها وتراثها، متبحّر في العربيّة، مختصّ بالترجمة، فيقدّم إلى القارئ نصًّا سلسًا يتيح الدخول في أعماق فكر الآفيليّة بسهولة ولذّة. ويلفتُ نظرَ الملمّين بالكتابات الروحيّة تقارب فكر تريزا في كتابها هذا وفكر المعلّم الروحانيّ اليسوعيّ الكبير ألُوئزو رودريكز صاحب مؤلّف الكمال المسيحيّ، الذي دَرّس عليه أجيال من اليسوعيّين وسواهم من الرهبان والمتصوّفين، كما لا يَسع القارئ في أيّامنا إلّا أن يعجب لحداثة فكر الآفيليّة الكبيرة التي لا تزال تعني الكثير لأبناء عصرنا بالذات.

أ. ك. حشيمه

بين الروحانيّة الإغناطيّة والروحانيّة الشرقيّة

تأليف الأبوين فاضل سيداروس وأولفر برج - أوليفيه اليسوعيّين

سلسلة «نصوص ودروس إغناطيّة»، دار المشرق، بيروت، ٢٠٠٢، ١٥٦ صفحة

قد يبدو غريبًا أن يُجمَع بين الروحانيّة الشرقيّة وروحانيّة القدّيس إغناطيوس دي لويولا. إلّا أنّ مَن يتفحّص حياة مؤسّس اليسوعيّين يجد أنّه، في أثناء المرض الذي هيّأ اهتداءه، طالع سِيَر القدّيسين ومنهم الشرقيّين، وبدّل باسمه «إينيغو» اسمَ «إغناطيوس» الأنطاكيّ، الأسقف الشهيد، ثمّ حجّ إلى الأراضي المقدّسة وأرسل رهبانه فور تأسيس جمعيّته إلى الشرق، واستوحى في كتابيه «قوانينَه» الشهيرة القدّيس باسيليوس. وفي كتاب الأبوين سيداروس وبرج - أوليفيه إشارات كثيرة إلى نقاط التقارب بين إغناطيوس والآباء

الشرقيّين، كمثل ما يتعلّق بالصلاة والاقتداء بالمسيح وهدف حياة الإنسان والتميز الروحيّ وسواها.

ك. ح.

رفيق معلّم التربية المسيحيّة

تأليف الأب ڤيكتور شلحت اليسوعيّ

منشورات دار المشرق، بيروت، ٢٠٠٢، ٨٨ صفحة

إنطلاقًا من عمل دؤوب دام سنين طويلة في حقل التربية المسيحيّة وإعداد المعلّمين في المراكز الرعويّة، وضع الأب ڤيكتور شلحت هذا الكتاب، لكي يستفيد منه كلّ معلّم يقوم بالتربية المسيحيّة، سواء أفي المدارس أم في المراكز الرعويّة أم في البيوت.

إستهلّ المؤلّف كتابه بتمهيد:

- أبرز فيه الصلة القائمة بين موضوعاته وارتباطها المباشر بالتربية المسيحيّة ودورها في تنمية حياة المتربّين الروحيّة وعلاقتهم بالمسيح القائم من الموت والتزامهم بمثله وتعاليمه.
- ورأى أنّها عمليّة لا تحقّق هدفها ما لم تأخذ بعين الاعتبار صفات المربّي من ناحية، وظروف المتربّي النفسيّة والاجتماعيّة من ناحية أخرى.
- وأشار إلى أنّ هذه التربية تنطلق من الإيمان وترشد إلى الإيمان، فيجب أن يستنير هذا الإيمان بما وصل إليه التعليم الروحيّ، في جميع لقاءات التربية المسيحيّة، وأن يُطبّق على مختلف ظروف حياتنا الأرضيّة.
- لكنّ نجاح عمليّة التربية المسيحيّة لا يقتصر على إنارة إيماننا بما وصل إليه التعليم الروحيّ وحسب، بل يقوم أيضًا على أسلوب الخطاب الذي يستخدمه المربّي في عرض موضوعه. وهناك عدّة أساليب خطابيّة يستطيع المربّي أن يستعملها في القيام بمهمّته.
- ويلاحظ المؤلّف أنّ الرسالة يجب أن تصل إلى أعماق المتربّي، فلا بدّ أن يساعده المربّي على استبطان إيمانه، من خلال نشاطات تربويّة تحمل المتربّي على التعبير الذاتيّ عن إيمانه.
- ويختم بعرض فكرة على جانب كبير من الأهمّيّة، قائلًا: لمّا كانت التربية المسيحيّة تهدف إلى تنمية العلاقة الروحيّة بين المتربّي والمسيح، فلا بدّ من التحدّث عن حياته الروحيّة ودور المربّي فيها.

ينطوي الكتاب على قسمين: قسم عمليّ يشرح فيه المؤلّف، في الفصول الخمسة الأولى، كلّ ما أعلن عنه في المقدّمة؛ وقسم نظريّ في الفصول الثلاثة الأخيرة، يتكلّم فيه على: قيامة المسيح وحضوره في حياتنا اليوم - الكنيسة استمرار لحضور المسيح بيننا -،

الأسرار التي تحمل إلينا اليوم حياة المسيح.

في الختام، لا يسعنا إلّا أن نشجّع القارئ إلى أقصى حدّ على الاستفادة من هذا الكتاب. لأنّنا لا نجد مثله في مكتباتنا العربيّة. ونوجّه هذه الدعوة إلى معلّم التربية المسيحيّة في المدارس أو في المراكز الرعويّة، لا بل إلى ربّ العائلة أيضًا.

أ. ص. حموي

من منشورات دار المشرق